

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

الحياة العلمية في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول
1659 – 1727م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إشراف الدكتور:

د/ محمد بوسعدة

إعداد الطالبة:

فريال نواصر

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
محمد بوسعدة	استاذ محاضر-ب-	مشرفا ومقررا
جمال سهيل	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
محفوظ حني	استاذ محاضر-ب-	مناقشا

الموسم الجامعي: 1446هـ/2024-2025م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

الحياة العلمية في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول
1659 – 1727م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إشراف الدكتور:

د/محمد بوسعدة

إعداد الطالبة:

فريال نواصر

أعضاء لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
محمد بوسعدة	أستاذ محاضر - ب -	مشرفا و مقرا
جمال سهيل	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
محفوظ حني	أستاذ محاضر - ب -	مناقشا

الموسم الجامعي: 1446هـ/2024-2025م

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا فِيلَ لَكُمْ تَبَسَّحُوا
فِي الْمَجْلِسِ بَابَسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ
وَإِذَا فِيلَ آنَشَرُوا بَانَشَرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

سورة المجادلة الآية 11

إهداء

إلى من غرست في نفسي حب العلم، وكانت أول مدرسة لي في الصبر والإصرار
إلى أمي ربيعة بن دكن، التي حملتني في قلبها قبل أن تحملني يداها، ورافقتني
بدعواتها في كل درب.

وإلى أبي محمد نواصر، الذي كان سندي وظلي في كل طريق، أستمد منه الثبات
كلما اهتزت خطواتي.

إلى من ساندوني بصمت، وآمنوا بي رغم كل العثرات إلى إخوتي بشرى و إكرام
وأصدقائي الذين كانوا لي سندًا في لحظات التعب والتردد.

إلى كل من علّمني حرفًا وكان له في قلبي أثر لا يُمحى، أهدي هذا العمل المتواضع
تقديرًا ووفاءً وامتناناً راجية من الله أن يكون بداية لما هو أنفع وأعمق

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنال الغايات.

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لكل من كان له أثر في إنجاز هذا العمل، ولكل من آمن بقدرتي ودعمني بالكلمة والموقف.

وأخص بالشكر أستاذي المشرف بوسعدة محمد الذي كان لتوجيهاته السديدة وملاحظاته الدقيقة وحرصه الصادق، بالغ الأثر في توجيه مساري العلمي وبلورة هذا العمل على الوجه الأمثل، فله مني كل التقدير والامتنان على ما قدمه من دعم علمي لا يقدر بثمن.

كما لا يفوتني أن أعبر عن امتناني لأساتذتي الكرام، الذين لم يبخلوا بعلمهم وتوجيهاتهم القيمة، وكانوا لي مثلاً في الجدية والالتزام، فكان عطاؤهم منارة سلكت بها طريق البحث بثقة ويقين.

وأجدد شكري لأسرتي، التي كانت لي السند الحقيقي، وشریان القوة في كل لحظة ضعف أو تعب، ولبعض الأصدقاء الذين كانت كلماتهم البسيطة سبباً في مواصلة الطريق.

إلى كل من فتح لي باباً أو أزاح عن طريقي حجراً أو منحني لحظة من وقته، أقول: شكراً من القلب، فلکم في هذا العمل سهم لا ينسى.

قائمة المختصرات باللغة العربية

الرمز	المعنى
م	ميلادي
هـ	هجري
ص	الصفحة
ج	الجزء
ع	العدد
ط	الطبعة
تعل	تعليق
تعرب	تعريب
تح	تحقيق
تحر	تحرير
ترج	ترجمة
تق	تقديم
در	دراسة
تص	تصحيح

مج	مجلد
ب ط	بدون طبعة
د.ع	دون عدد
د . د . ن	دون دار نشر
د . ت . ن	دون تاريخ نشر
د . ب . ن	دون بلد

قائمة المختصرات باللغة الفرنسية :

Signification	Le symbole
page continue	PP

مقدمة

مقدمة:

تتجلى أهمية العلم كركيزة أساسية في بناء الدول وصيانة هويتها، خلال فترات التحول التاريخي، ويبرز دوره بوضوح خلال اللحظات التي تعقب الفتن أو التغيرات السياسية، حيث يصبح الفعل المعرفي أداة لإعادة التوازن واستنهاض المجتمع. ويُعد المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن السابع عشر مثلاً حياً على هذا النشاط المتجدد، إذ شهد خلال العهد العلوي الأول تبلور مشروع علمي رافق عملية بناء الدولة واستعادة الاستقرار، من خلال العناية بالمؤسسات التعليمية والارتباط الوثيق بين السلطة والعلماء. ومن هذا المنطلق، جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ: "الحياة العلمية في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول (1659 - 1727م)" لتسليط الضوء على ملامح النشاط العلمي ومقوماته خلال هذه المرحلة التأسيسية من تاريخ المغرب الحديث.

1- الإطار الزمني والمكاني:

أ- الإطار الزمني:

يمتد الإطار الزمني لهذه الدراسة من سنة 1659م إلى سنة 1727م أي من بداية تأسيس الدولة العلوية إلى غاية وفاة السلطان مولاي إسماعيل، وهي مرحلة شهدت بداية تأسيس الدولة العلوية في المغرب، والتي اتسمت بالاستقرار السياسي مما أتاح المجال لظهور حركة علمية نشيطة نسبياً، سواء من حيث استمرار أداء المؤسسات التعليمية التقليدية كالقرويين، أو من حيث بروز عدد من العلماء الذين كان لهم دور في توجيه الحياة الفكرية والدينية والسياسية، فضلاً عن تواصل النشاط العلمي بين المغرب وبقية أقطار العالم الإسلامي عبر الرحلات.

ب- الإطار المكاني:

يشمل الإطار الجغرافي للدولة العلوية خلال العهد العلوي الأول، باعتبار أن النشاط العلمي لم يكن محصوراً في منطقة واحدة بل امتد إلى عدّة جهات ومراكز علمية بارزة.

2- إشكالية الموضوع:

شهد المغرب الأقصى خلال نهاية العصر السعدي وبداية الحكم العلوي تحولات سياسية واجتماعية عميقة، ألقت بظلالها على مختلف مناحي الحياة، بما في ذلك المجال العلمي والثقافي. ورغم ما طبع تلك المرحلة من صراعات داخلية وهزات سياسية، فإن الحياة العلمية لم تتوقف، بل استمرت في النمو والتطور بفضل ما ورثه المغرب من تقاليد علمية راسخة، وبفضل المبادرات التي قام بها السلاطين العلويون والعلماء في سبيل ترسيخ المعرفة وتنظيم مؤسساتها.

في هذا السياق تبرز الحاجة إلى التساؤل عن طبيعة الحياة العلمية خلال هذه المرحلة، وعن كيفية تفاعل الدولة العلوية مع الإرث العلمي والثقافي للمغرب، والسبل التي اعتمدتها في دعمه أو توجيهه، إضافة إلى الدور الذي اضطلع به العلماء في خدمة المجتمع والدولة، وعلاقاتهم العلمية بأقطار العالم الإسلامي.

وانطلاقاً من ذلك يمكن طرح الإشكالية العامة الآتية:

ما ملامح الحياة العلمية في العهد العلوي الأول؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات الفرعية أهمها:

ما طبيعة الوضع العلمي والثقافي في المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية؟ وما الظروف التي ساهمت في قيام هذه الدولة وتوطيد حكمها؟

ما هي أهم المؤسسات العلمية والحواضر التي نشطت خلال العهد العلوي الأول؟ وما العلوم التي ازدهرت آنذاك؟ ومن هم أبرز العلماء الذين ساهموا فيها؟

كيف ساهم العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية؟ وما طبيعة علاقتهم بالسلاطين العلويين؟ وما أثرهم في توجيه سياسة الدولة؟

ما مدى ارتباط العلماء العلويين بالعالم الإسلامي؟ وكيف ساهمت الرحلات العلمية في تطوير المعارف وتقوية العلاقات الثقافية مع المراكز العلمية خارج المغرب؟

3-أهمية الدراسة:

تعتبر دراسة موضوع الحياة العلمية في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول (1659-1727م) ذات أهمية خاصة لكون أغلب الدراسات التاريخية ركزت على الجوانب السياسية والعسكرية وأغفلت إلى حد كبير الجوانب العلمية والثقافية، ويعد المغرب خلال هذه الفترة حاضرة علمية بارزة في العالم الإسلامي بفضل مؤسساته التعليمية، والعلماء الذين ساهموا في نشر المعرفة، كما أن الحياة العلمية كانت تشكل عنصرًا مهمًا في استقرار الدولة والمجتمع، مما يمنح هذا الموضوع أهمية خاصة تستدعي البحث، لكونه يسلط الضوء على إسهامات العلم والعلماء في نشأة الدولة العلوية وتثبيت أركانها.

4-أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الحياة العلمية في العهد العلوي الأول (1659-1727م)، وذلك من خلال دراسة دور المؤسسات التعليمية في نشر العلم والمعرفة والتعريف بأهم المراكز العلمية التي نشطت خلال هذه المرحلة، كما تسعى إلى تصنيف العلوم المتداولة سواء النقلية أو العقلية، والتركيز على علاقة العلماء بالسلطين ومدى تأثيرها في الحياة السياسية والاجتماعية، وتطمح الدراسة كذلك إلى إبراز العلاقات العلمية بين المغرب وبقية العالم الإسلامي من خلال الرحلات العلمية التي قام بها العلماء المغاربة.

5-دواعي اختيار الموضوع :

أ- الدوافع الذاتية :

جاء اختياري لموضوع الحياة العلمية في العهد العلوي الأول نتيجة لعدة اعتبارات شخصية، من أبرزها اهتمامي الكبير بشخصيتي المولى الرشيد (1664-1672) والمولى إسماعيل (1672-1727) لما لهما من تأثير في مسار الدولة العلوية وبنائها، كما أن اطلاعي على بعض المؤسسات العلمية كالزاوية الدلائية زاد من رغبتني في التوسع في هذا الجانب، وقد تزامن هذا الاهتمام مع اقتراح أستاذي بن قومار جلول المتخصص في تاريخ المغرب لهذا الموضوع، فوجدت أنه يتماشى مع ميولي الأكاديمي، خاصة وأني كنت دائمًا أميل إلى دراسة الجوانب العلمية والثقافية التي لم تحض باهتمام معتبر في الدراسات التاريخية.

ب- الدوافع الموضوعية:

يحمل هذا الموضوع أهمية علمية لكون أغلب الدراسات التي تناولت العهد العلوي الأول ركزت أساسًا على الجوانب السياسية والعسكرية، بينما لم تحظى الحياة العلمية باهتمام كافٍ رغم أهميتها، ويعتبر المغرب في هذه المرحلة من الحواضر العلمية البارزة في العالم الإسلامي بما امتلكه من مؤسسات علمية وعلماء، كان لهم تأثير ظاهر على المجتمع والسياسة، وعليه فإن دراسة هذا الجانب تعد ضرورية لفهم مسيرة الدولة العلوية، ومكانة العلم في بناء الدولة واستقرارها.

6- المنهج المعتمد:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي لعرض خصائص الحياة العلمية في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول، من خلال رصد المؤسسات التعليمية والحواضر العلمية والعلوم المنتشرة. كما استعنت بالمنهج التحليلي لفهم أدوار العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية، وعلاقتهم بالسلطين، وتأثيرهم في توجيه سياسة الحكم، وفي تفعيل الروابط العلمية مع العالم الإسلامي.

ولمقارنة الحياة العلمية في العهد العلوي الأول مع العهد السعدي، استعنت أيضًا بالمنهج المقارن، في محاولة لإبراز خصوصية هذه المرحلة وملامح التميز فيها. كما تم توظيف المنهج الإحصائي بشكل محدود، حيثما توفرت المعطيات الكمية (مثل عدد الكتاتيب والمساجد والمدارس والخزائن العلمية)، لإعطاء صورة أكثر دقة وموضوعية عن حجم النشاط العلمي آنذاك.

7- خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى ثلاث فصول رئيسية راعيت فيها التسلسل المنطقي للموضوع وانطلقت من التأطير العام نحو التحليل المفصل ثم التقييم العام، وقد سبق هذه الفصول مقدمة تضمنت طرح الإشكالية، وأعقبها خاتمة لخصت النتائج، خصصت الفصل الأول لأوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي، وتضمن مبحثين تناولت في الأول لمحة عامة حول أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية، بينما ركزت في الثاني على نشأة الدولة العلوية، أما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة المؤسسات التعليمية والثقافية والحواضر العلمية وأهم العلوم المنتشرة خلال العهد العلوي الأول، واحتوى على مبحثين الأول تناولت فيه المؤسسات التعليمية والثقافية، أما الثاني فركزت فيه

على التعريف بالحواضر العلمية خلال العهد العلوي الأول وأهم العلوم المنتشرة بأنواعها النقلية والعقلية، في حين خصصت الفصل الثالث لدراسة دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول، وذلك في مبحثين الأول تناولت فيه دور العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية، والثاني ركزت فيه على الرحلات العلمية للعلماء وعلاقاتهم بأقطار العالم الإسلامي، وبهذا التقسيم سعيت إلى تغطية البحث من مختلف الجوانب المتعلقة بالموضوع انطلاقاً من التأسيس إلى الوظيفة ثم التأثير السياسي والاجتماعي.

8-الدراسات السابقة:

من بين الدراسات التي تناولت موضوع الحياة العلمية في المغرب، أذكر:

- دراسة الباحثين ثوأمريّة فتحية وثوأمريّة سارة الموسومة بـ: التعليم بالمغرب الأقصى منذ قيام الدولة العلوية إلى الحماية الفرنسية (1075/1325هـ - 1664/1912م)، وهي مذكرة لنيل شهادة الماستر من جامعة ابن خلدون تيارت، سنة 2017م، وقد ركزت هذه الدراسة على تطور التعليم ومظاهره في ظل الدولة العلوية، وقد استفدت منها في تأطير الجانب العام للتعليم خلال العهد العلوي مع التركيز أكثر على المرحلة الأولى من الحكم العلوي، كما كانت مفيدة لي من حيث الاطلاع على المصادر والمراجع خاصة في الفصل الثاني من دراستي فيما يخص المؤسسات التعليمية والخزائن العلمية.

- دراسة الباحثين بن عراج رياض والعيسوف إسماعيل الموسومة بـ: الحياة الفكرية في عهد الدولة العلوية (1757 - 1823م)، وهي مذكرة لنيل شهادة الماستر من جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان سنة 2020م، وقد ركزت هذه الدراسة على مظاهر الحياة الفكرية وأهم العلماء في تلك الفترة، وقد استفدت من هذه الدراسة في الاطلاع على الفصل التمهيدي لما قدمه من رؤية شاملة حول نشأة الدولة العلوية ومظاهر حضارتها، كما ساعدتني في التعرف على عدد من المصادر والمراجع ذات صلة بموضوع البحث.

9-دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع:

من أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في دراستي لهذا الموضوع، هي:

- كتاب: "تاريخ الدولة السعيدة" لمؤلفه الضعيف الرباطي (1751 - 1818م)، وهو مؤرخ مغربي عاصر أبا القاسم الزياني، يشكّل هذا الكتاب مرجعاً مهماً لتتبع التحولات السياسية بالمغرب، خاصة وأنه يعرض الأحداث بأسلوب الحوليات متتبّعاً سيرة السلاطين من المولى محمد بن الشريف إلى المولى سليمان، وقد استفدت من هذا المصدر بشكل خاص في الفصل الأول، مبحث نشأة الدولة العلوية، حيث قدّم معلومات مفيدة عن ظروف النشأة وبعض الجوانب السياسية والاقتصادية لتلك المرحلة مستعرضاً الأحداث وفق تسلسل زمني ومبرزاً فضائل كل شخصية على حدة، دون تقسيمها حسب مواضيع محددة، ويتّسم أسلوبه بالجرأة والوضوح، وقد استند المؤلف على عدة مصادر في كتابه، ولكن رغم هذا فإن استعماله للعامية وضعف تركيب لغته أثر سلباً على وضوح نصه وجودته العلمية.

- كتاب: "المغرب عبر التاريخ" لمؤلفه إبراهيم حركات، ويُعدّ هذا الكتاب من أبرز المؤلفات الحديثة التي تناولت التاريخ المغربي بمنهجية دقيقة وتسلسل زمني واضح، حيث قدّم فيه المؤلف معالجة شاملة لمختلف المراحل السياسية والحضارية والفكرية التي مرّ بها المغرب خصوصاً في العصر الإسلامي، وذلك في ثلاث أجزاء، وقد استعنت بالجزء الثاني والثالث وذلك من الدولة المرينية إلى نهاية الدولة السعيدة، "في الجزء الثاني" ومن قيام الدولة العلوية إلى إقرار الحماية الفرنسية "في الجزء الثالث".

اعتمدت على الجزء الثاني من هذا الكتاب في الفصل الأول ضمن المبحث الأول من دراستي فيما يخص أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية، فقد تناول المؤلف في هذا الجزء بدايات الدولة المرينية وتطوراتها إلى غاية سقوط الدولة السعيدة، من خلال عرض متوازن للأحداث والسياقات السياسية والاجتماعية والدينية المصاحبة لها.

كما استفدت من الجزء الثالث في الفصل الأول ضمن المبحث الثاني فيما يخص نشأة الدولة العلوية فضلاً عن الاستعانة بالملحق المعنون بـ: "التيارات السياسية والفكرية للمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية"، والذي تم توظيفه في الفصل الثاني، لما يحمله من تحليل غني للحياة الفكرية والسياسية وتأثيرها في نشوء ملامح الدولة الحديثة. وقد اعتمد المؤلف منهجاً واضحاً قسّم فيه تاريخ كل دولة إلى ثلاث مراحل: النشأة والعظمة ثم الضعف متبوعاً بتحليل أسباب السقوط، وهو ما ساهم في تبسيط الفهم وتسلسل الأحداث. وقد تنوعت مصادر الكتاب ومراجعته بين التقليدية والمعاصرة، ما

منح العمل مصداقية علمية واتزاناً في الطرح، وقد وُفّق في الدمج بين العرض السياسي والتحليل الحضاري والثقافي، مما جعله مرجعاً شاملاً يخدم مختلف المحاور، ولكن رغم ذلك أقر المؤلف بوجود قصور في التوثيق وبعض الفجوات المصدريّة خاصة خلال الفترات الغامضة، ما أثر نسبياً على عمق التحليل في بعض الجوانب.

- كتاب: "الفقيه أبو علي اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية" لمؤلفه عبد الكبير العلوي المدغري، يُعدّ هذا الكتاب من أبرز المؤلفات التي أنصفت شخصية الفقيه أبو علي اليوسي، حيث وُفّق المؤلف في تقديم قراءة عميقة ومتوازنة لسيرته الفكرية والعلمية، مسلطاً الضوء على تفاعله مع قضايا عصره في مختلف أبعادها الدينية والسياسية والفكرية، وقد استفدت من هذا المرجع في الفصل الأول من دراستي، وقد تميز المؤلف بقدرة كبيرة على إعادة تركيب مسار اليوسي، بالاعتماد على جملة من المصادر والمخطوطات، مع بناء محكم للكتاب من خلال تقسيمه إلى ثلاثة أبواب رئيسية: "العصر"، و"الشخصية"، و"المدرسة"، مما منح النص انسجاماً وسهولة في تتبع تطور الفكر اليوسي، ولكن مع ذلك يُلاحظ أن بعض الفصول خصوصاً تلك المتعلقة بالسياق السياسي والاجتماعي اتّسمت بالإطالة الزائدة، وهو ما أقر به المؤلف نفسه.

- كتاب: "دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية" للمؤلف بوركبة السعيد، وهو من الدراسات الحديثة التي سعت إلى إمطة اللثام عن الأبعاد الثقافية والعلمية لمؤسسة الوقف في عهد الدولة العلوية، وتكمن أهمية الكتاب في معالجته لموضوع نادر الطرح في البحوث والدراسات، رغم صلته الوثيقة ببنية التعليم التقليدي في المغرب، وبدور المؤسسات الدينية والعلمية كالمساجد والزوايا والجامعات. ولقد استفدت منه بشكل كبير في الفصل الثاني من دراستي والذي خصصته للمؤسسات التعليمية والثقافية في نشر التعليم وأهم العلوم بالمغرب خلال العهد العلوي الأول. يتّسم هذا الكتاب بجملة من الإيجابيات التي تجعل منه مرجعاً ذا قيمة علمية معتبرة، أبرزها تنوع مصادره التي شملت الوثائق الوقفية والنوازل الفقهية وكتب التاريخ والفقه، مما أضفى على معالجته طابعاً توثيقياً رصيناً إلى جانب حسن تنظيم المادة العلمية والتدرج المنهجي من التأسيس المفاهيمي إلى التطبيقات الواقعية، مع إبراز البعد الحضاري لمؤسسة الوقف وربطها بالتحوّلات السياسية والاقتصادية والفكرية، غير أن العمل لم يخل من بعض الملاحظات النقدية، منها اعتماد الباحث في غالب الأحيان على مصادر تنتمي إلى خلفية مذهبية واحدة، دون الانفتاح على مرجعيات فكرية أخرى قد تُغني

الطرح وتوسّع أفق التحليل، بالإضافة إلى طغيان الطابع الوصفي في بعض الفصول على حساب التحليل النقدي العميق.

10-الصعوبات التي واجهتني أثناء إنجاز هذه الدراسة:

لا يخفى أن إنجاز أي عمل أكاديمي يتطلب جهداً متواصلًا، وقد تعترض الباحث خلال ذلك جملة من الصعوبات، سواء ما تعلق منها بموضوع الدراسة أو ما ارتبط بالظروف الشخصية.

فمن أبرز الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد هذه المذكرة، عدم تمكني من الحصول على بعض المصادر والمراجع بما في ذلك كتاب النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية، للمؤرخ عبد الرحمن بن زيدان، نظرًا لما يحمله من أهمية بالغة في صلب موضوع البحث، إذ يُعد من المراجع الأساسية التي تناولت الحياة العلمية خلال تلك المرحلة بدقة وعمق، وقد حالت دون الوصول إليه عدة عراقيل، من أبرزها عدم توفره بنسخة رقمية متاحة، وندرته في المكتبات الورقية، ورغم أنني تواصلت مع بعض الأصدقاء داخل المغرب للبحث عنه، وقاموا مشكورين بزيارة عدد من المكتبات إلا أن محاولاتهم لم تُكلل بالنجاح، بحيث لا توجد نسخة منه حتى في المكتبات المغربية، ما اضطرني إلى البحث عن مصادر بديلة لتغطية هذا النقص.

كما واجهتني صعوبات تقنية تمثلت في تعذر الولوج إلى بعض المواقع الإلكترونية ذات الصلة المباشرة بموضوع الدراسة، وعلى رأسها موقع مجلة دعوة الحق، إذ لاحظت أنه يعتمد نظام الحجب الجغرافي وهو ما يصعب تصفحه، وقد تطلّب مني الأمر استعمال شبكة افتراضية خاصة (VPN) لتغيير الموقع الجغرافي الرقمي، قصد التمكن من الوصول إلى محتواه، وهو ما تسبب في بعض التأخير والإرباك أثناء جمع المعطيات الرقمية والمصادر الإلكترونية الضرورية.

ورغم كل هذه التحديات فقد سعت جهد الإمكان إلى تجاوزها، مستندة في ذلك إلى التوجيهات العلمية القيّمة التي قدمها لي أستاذي المشرف، كما عملت على تجاوز بعض الحواجز اللغوية من خلال الاستعانة ببعض القواميس والشروح المعاصرة، وهو ما ساعدني على فهم عدد من النصوص والمفاهيم الأساسية في البحث.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أعبر عن تواضعي في تقديم هذا العمل، راجية أن يكون عند حسن ظن اللجنة العلمية الموقرة التي ستتفضل بمناقشته، وأن يسهم ولو بقدر يسير في خدمة المعرفة التاريخية، كما أتوجه بخالص الشكر والامتنان لأستاذي المشرف على دعمه وتوجيهه، ولأعضاء لجنة المناقشة على قبولهم تقييم هذا الجهد المتواضع.

الفصل الأول:

أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة
العلوية وبداية الحكم العلوي

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

المبحث الأول: لمحة عامة حول أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية

أولاً: الأوضاع السياسية

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعلمية

المبحث الثاني: نشأة الدولة العلوية

أولاً: بداية ظهور العلويين وتأسيس حكمهم

ثانياً: توطيد العلويين لأركان حكمهم

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

مر المغرب خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي بمرحلة شديدة الاضطراب اتسمت بتدهور متسارع في مختلف المجالات، شملت السياسة والاقتصاد والمجتمع، وانعكس أثره على الوضع العلمي والثقافي، فبعد وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي وجد المغرب نفسه أمام فراغ سياسي حاد نتيجة النزاع بين أبنائه، مما أدخل البلاد في فوضى عارمة وحروب طاحنة انتهت بتفكك الدولة السعدية، بينما تفاقمّت الأزمات الداخلية التي مست حياة الناس اليومية وزادت من معاناتهم الاقتصادية والاجتماعية في ظل أوبئة وجفاف، وعجز واضح عن فرض الأمن والنظام.

لم تكن هذه المرحلة مجرد أزمة سياسية عابرة بل شكلت لحظة تحول عميقة في تاريخ المغرب، حيث بدا واضحاً أن الدولة المركزية قد انهارت وأن الحاجة إلى مشروع سياسي جديد أصبح ضرورياً، لاستعادة وحدة البلاد وإنهاء التفكك، وفي هذا الصدد ظهر العلويون انطلاقاً من تافيلالت مستفيدين من نسبهم الشريف وتاريخهم في التدين والعلم، فضلاً عن قدرتهم على استقطاب القبائل وتجاوز الخلافات المحلية، ليشروعوا تدريجياً في بناء مشروع سياسي جديد أعاد للمغرب وحدته واستقراره.

فكيف ساهمت التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عرفها المغرب بعد وفاة أحمد المنصور في تهيئة الظروف لظهور الدولة العلوية؟ وما طبيعة التحديات التي واجهها العلويون في سبيل تأسيس سلطتهم وتوحيد البلاد؟

المبحث الأول: لمحة عامة حول أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية

أولاً: الأوضاع السياسية

في سنة 1012هـ/1603م، تُوفي السلطان السعدي أبو العباس أحمد المنصور الذهبي¹ بشكل مفاجئ بمدينة فاس، وكان حينها يستعد للرجوع إلى مراكش بعد أن اجتاحت وباء شديد مناطق متعددة من البلاد، فأصيب به قبل أن يُحدد من سيخلفه في الحكم²، وقد أدى هذا الحدث إلى انتشار الفوضى والفتن، مما أضعف الحكم المركزي وأدخل المغرب في دوامة من الصراعات والانقسامات الداخلية، وقد عبّر المؤرخ عبد الرحمن التامنارقي عن هذه الأوضاع بكلمات تُظهر حجم التدهور الذي عرفته البلاد، حيث سادت الاضطرابات، وانهارت القيم، وانتشر الخوف والجوع بسبب غياب سلطة تفرض سيطرتها على الأوضاع³.

فبعد وفاة الخليفة السعدي أحمد المنصور الذهبي، دخل المغرب في فترة صعبة تميزت بالاضطراب وعدم الاستقرار⁴، حيث اشتد الصراع بين أبنائه وكل واحد منهم كان يطمح للاستيلاء على الحكم والانفراد بالسلطة⁵.

اجتمع أهل الحل والعقد من وجهاء فاس وأعيانها، إضافة إلى جمهور جيش المنصور، لمبايعة ابنه زيدان، وقد ذكروا أن المنصور قد استخلف ابنه على الحكم في حياته، مما جعلهم يبايعون زيدان وقد

¹ أحمد المنصور السعدي (1549-1603م): هو ابن محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني السعدي، ويُعد من أعظم ملوك الدولة السعدية وواسطة عقد ملوكها، وباني قصر البديع، وُلد بفاس سنة 956هـ وبويع ملكاً بعد معركة وادي المخازن يوم الاثنين 4 غشت 1578م، دام حكمه نحو ست وعشرين سنة، ويُعتبر من أزهى عصور الدولة السعدية رخاءً وعلماً وعمراناً وقوة. ينظر: محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس، تحرير وتقديم حماد الله ولد سالم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 2012م، ص192.

² محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والسياسي، المطبعة الوطنية بالرباط، 1964م ص21.

³ عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية دراسات تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، ط3، الرباط المملكة المغربية، 2006م، ص328.

⁴ عبد الجواد السقاط، الشعر الدلائلي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، الرباط المغرب، 1985م، ص23.

⁵ عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، د.د.ن، ط2، ج1، د.ت.ن، ص269.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

تولى إعلان هذه البيعة قاضي الجماعة بفاس، أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني¹ والفقيه القاضي أبو الحسن علي بن عمران السلاسي، والأستاذ سيدي محمد الشاوي، والشيخ النظار أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار، ويحكى أن القاضي الغساني وقف بين الناس خطيباً وقال: "أما بعد، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفى اجتمع الناس على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ونحن قد مات مولانا أحمد وهذا ولده مولانا زيدان أولى بالملك من إخوته" فوافق الحاضرون وبايعوه رسمياً يوم الاثنين، السادس عشر من ربيع الأول سنة 1012هـ².

كان السلطان أحمد المنصور، قد قسم مناطق الحكم في المغرب على أولاده، فعين ابنه محمد الشيخ على منطقة فاس والغرب وجعله ولياً للعهد، أما زيدان فأُسند إليه تادلا³ والمناطق التابعة لها، وعندما غادر المنصور نحو فاس ترك ابنه أبا فارس ليتولى شؤون مراكش وما جاورها⁴.

كتب أعيان فاس⁵ رسالة إلى أهل مراكش⁶ يدعونهم لمبايعة زيدان إلا أنهم رفضوا ذلك وأعلنوا ولاءهم لأبي فارس، وأدى هذا الانقسام إلى جدل واسع بين الطرفين حتى أصدر قاضي فاس ومفتيها

¹ أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني (952 - 1032هـ): تولى منصب قاضي الجماعة بمدينة فاس، ويُعد من أبرز العلماء الذين عُرفوا في زمانهم بسعة العلم وعلو الكعب في مختلف الفنون، تميز بإتقانه لعلمي المعقول والبيان، وكان بارعاً في التفسير، كما عُرف بخطبه البليغة وحسن سيرة، تلقى العلم عن عدد من الأعلام، من بينهم المنجور، وأبو القاسم بن إبراهيم، وأحمد بابا، وابن مجير، والسراج، والحميدي، وغيرهم، وتلمذ على يده علماء بارزون مثل ميارة، وابن عاشر، والعربي الغالس، وغيرهم. ينظر: أحمد بن محمد المقرئ، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين فاس ومراكش، تح. محمد سلام هاشم، دار الكتب العلمية، ب ط، بيروت لبنان، 2012م، ص 211.

² أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية، تح وت. جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، ب ط، ج 6، الدار البيضاء المغرب، 1997م، ص 3.

³ تادلة: مدينة موجودة في الجهة الشرقية من المغرب الأقصى وتُعتبر منطقة فاصلة بين فاس وتلمسان في المغرب الأوسط ومن الشرق تحيط بها جبال صنهاجة أما من جهة الغرب فتمتد حدودها إلى جبال درن حتى تصل إلى المحيط ومن الجنوب فهي تقع تقريباً بين مدينتي فاس ومراكش. ينظر: محمد علي أحمد قويدر، التجارة الداخلية في المغرب الأقصى في عصر الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، ب ط، د.ب.ن، د.ت.ن، ص 20.

⁴ الناصري، المرجع السابق، ص 4.

⁵ يشير الإصطخري في كتاباته إلى أن مدينة فاس كانت تُعد عاصمة لإقليم طنجة وقد وصفها بقوله: "طنجة كورة عظيمة تحيط بمدن وقرى وبوادي ومدينتها فاس وقسمت العدوتين عدوة الأندلسيين أقام بها قبائل أندلسية على أيام الإمام إدريس الثاني بعد أن أوقع بهم الحكم بن هشام وأجلاهم إلى المغرب صعدوا إلى مدينة فاس فأنزلهم العدو التي نسبت إليهم أما عدوة القرويين فأُنزل العرب القيسية والفرس". ينظر: محمد علي أحمد قويدر، المرجع السابق، ص 19.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

فتوى تستند إلى الحديث النبوي في قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا بويع لخيفتين فاقتلوا الآخر منهما"¹. وبسبب هذا الخلاف اندلعت سلسلة من الحروب والمعارك بين الشقيقين شارك فيها أيضا أخوهما المأمون، الذي كان سجينا في مكناس².

بدأت ثورة أبي فارس عبد الله ضد زيدان، وأدى ذلك إلى انقسام المملكة إلى قسمين قسم في فاس وآخر في مراكش، ولم تمضي فترة حتى دخل محمد الشيخ المأمون الصراع، فاستطاع السيطرة على فاس وواجه مقاومة زيدان، ثم لجأ إلى الإسبان مقابل تسليمهم مدينة العرائش قبل أن يُغتال عام 1022هـ³.

بعد وفاة زيدان تولى الحكم ابنه عبد الملك لكنه واجه تمرّدًا داخليًا، انتهى باغتياله على يد أخيه الوليد عام 1040هـ، مما أدى بانتقال الحكم إلى هذا الأخير ولكن لم يستمر طويلًا حيث تم اغتياله هو الآخر من طرف الجنود عام 1045هـ، فتولى محمد الشيخ الأصغر الحكم وواجه ثورة الدلائيين حتى وفاته عام 1064هـ⁴.

استلم العباس الحكم بعد أبيه لكنه قُتل عام 1069هـ أثناء الصراع مع أخواله الشبانات الذين استولوا على السلطة بقيادة عبد الكريم الشباني⁵، الذي استمر حكمه حتى اغتياله عام 1079هـ،

⁶ مراكش: تعد مدينة مراكش من أبرز وأكبر المدن في المغرب، وهي موجودة في الجهة الجنوبية الغربية للبلاد عند سفوح جبال الأطلس أسسها يوسف بن تاشفين سنة 470هـ / 1077م واتخذها عاصمة له وبقيت كذلك في عهد خلفائه ولا تزال مراكش حتى اليوم من المدن المهمة في المغرب. ينظر: محمد فاروق، معايير الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، تق. الشيخ منير الغضبان، دار المأمون، ب ط، الأردن، د.ت.ن، ص81.

¹ محمد الصغير الإفرائي، نزعة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تح وت.ع. عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، المغرب، 1998م، ص282.

² شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، مصر، 1977م، ص195.

³ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، ب ط، ج2، الدار البيضاء المغرب، 2000م، ص ص278 – 279.

⁴ نفسه، ص282.

⁵ عبد الكريم الشباني: المعروف بلقب "كروم الحاج" من أصول شبانية معقلية استقرت بالحوز المراكشي، وكانت ترتبط بالجيش شأها شأن عدد من العشائر المماثلة، برز في سياق الاضطرابات التي أعقبت انهيار الدولة السعدية، حيث تمكن سنة 1069هـ من إقامة إمارة محلية في مراكش، انتهت مسيرته سنة 1079هـ بعد أن قُتل على يد أحد جنوده بطعنة رمح. ينظر: محمد إحمدي

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

فخلف الحكم بعده ابنه أبو بكر، لكن قضى عليه السلطان الرشيد العلوي لتنتهي بذلك مرحلة من الاضطرابات والفوضى التي عجلت بسقوط الدولة السعدية¹.

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعلمية

بلغ المغرب في عهد المنصور ذروته من القوة والازدهار، حيث امتد نفوذه إلى السودان وتمكن من السيطرة على تجارة الذهب واحتكار التجارة الصحراوية، خاصة على الطريق الرئيسي بين مراكش وحاسية البيضاء وتبكتو وأصبحت مدينتي إيليج² وتارودانت³ من المراكز التجارية الكبرى على هذا الطريق والذي أصبح الأهم في المنطقة، وكانت التجارة الصحراوية تنتهي عند موانئ الأطلسي المغربية، حيث كان التجار الأوروبيون يأخذون منها الذهب والنحاس والجلود والسكر، لكن بعد بضع سنوات من وفاة المنصور بدأ الوضع الاقتصادي في المغرب يشهد تراجعاً، نتيجة الحرب الأهلية من جهة والمنافسة الأجنبية من جهة أخرى، وتغيير طرق التجارة الصحراوية في إفريقيا⁴.

زادت الأمور سوءاً بسبب الكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة التي اجتاحت البلاد مثل الطاعون والجفاف والجراد، والزلازل، مما أدى إلى انهيار اقتصادي شامل، وانخفاض الإنتاج الفلاحي بشكل حاد وتراجعت الصناعة سواء الكبرى أو الصغرى. أما التجارة فقد أصابها الضعف بسبب الركود وانخفاض

و إبراهيم بوطالب وآخرون، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ب ط، ج16، الرباط المغرب، 2002م، ص5285.

¹ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، دار الرشاد، ط2، ج3، الدار البيضاء المغرب، 1994م، ص283.

² إيليج: تقع مدينة إيليج في سهل تزروالت غرب زاوية سيدي أحمد بن موسى، بين مدينتي تيزنيت وتفراوت، أسسها أبو حسون السملالي سنة 1021هـ، غير أن عمرها كان قصيراً، إذ لم تدم سوى حوالي ستة عقود، قبل أن يُقدم السلطان المولى الرشيد على تخريبها سنة 1081هـ. ينظر: عبد الكريم بن موسى الريني، زهر الأكم مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من نشأة الى عهد المولى عبد الله بن المولى إسماعيل، تح. أسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، ب ط، الرباط المغرب، 1992م، ص107.

³ تارودانت: مدينة تقع جنوب مراكش قرب الساحل الأطلسي، واعتُبرت حاضرة سوس لفترة من الزمن. بفضل موقعها بين الصحراء والبحر، كانت محل تنافس بين الدول، فخضعت لحكم المدايين ثم الأدارسة، لعبت دوراً مهماً في تجارة القوافل الصحراوية حتى بداية القرن العاشر الهجري، رغم تراجعها بعد صعود مراكش. ينظر: الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة مصر، 1999م، ص305.

⁴ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص71.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

عائداً، كما تراجعت خارجياً أمام الهيمنة الأجنبية مما أدى إلى فقدان المغرب لموارده الأساسية خاصة صادرات السكر¹، التي تعرّضت لانتكاسة كبيرة لم تكن ناتجة فقط عن الفوضى الداخلية وإهمال زراعتها، بل أيضاً بسبب المنافسة القوية التي جاءت من الأسواق الخارجية، مثل البرازيل وجزر الأنتيل وماديرا وساو توما. كما تراجع الذهب بشكل ملحوظ، فبينما كانت تصل إلى مراكش قافلة سنوية تجلب ضرائب السودان قبل عام 1012هـ-1603م، أصبحت القوافل نادرة بعد وفاة المنصور، إذ لم تعد تصل إلا مرة واحدة كل ثلاث سنوات، ومع ذلك لم يكن وصولها مضموناً، ففي سنة 1016هـ-1607م، ثار الحرس المكلف بحماية إحدى القوافل التي أرسلها السلطان مولاي زيدان إلى مراكش، فأدى ذلك إلى حرمانها من أربعة أطنان من الذهب، كما أن مناجم الذهب في السودان لم تكن تحت السيطرة المباشرة للمغاربة، مما سمح بتحويل جزء كبير من الذهب نحو مصر والولايات العثمانية في تونس والجزائر، خاصة بعد فقدان أولاد المنصور السيطرة على توات، وإلى جانب ذلك بدأت بعض القوى الأوروبية تمثل تهديداً حقيقياً للمغرب، حيث انسحب عدد من التجار الأوروبيين من السواحل المغربية بعد أن ساءت الأوضاع الداخلية وأثّرت على النشاط التجاري، وتوجّهوا نحو السواحل الإفريقية. وهناك أسّس الفرنسيون مراكز تجارية في جزر الرأس الأخضر والسنغال سنة 1043هـ-1633م، ثم قاموا ببناء مدينة سانت لويس سنة 1651هـ-1641م، وسعوا للوصول إلى منابع الذهب والعبيد والعنبر والنحاس والعاج عبر الأنهار الإفريقية²، ولم تنج من هذا الانهيار سوى بعض المناطق مثل الدلاء وسلا وتطوان، بفضل مواقعها الجغرافية واستقرارها النسبي³.

وأما فيما يتعلق بالوضع الاجتماعي فقد ازدادت الأوضاع الاجتماعية سوءاً مع تفشي الطاعون، الذي لم يترك بيتاً دون أن يصيبه، والجفاف الذي بدأ سنة 1012هـ-1603م، مما أدى إلى انهيار الإنتاج الزراعي وارتفاع الأسعار وبالتالي اشتداد الفقر، كما ساهم غياب السلطة المركزية في انتشار

¹ أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغتي، فهرسة أبي عبد الله محمد بن سعيد المرغتي المسماة العوائد المزرية بالموائد، تج. محمد العربي الشريفي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط1، ج1، المغرب، 2007م، ص ص26 - 27.

² محمد خير فارس، المرجع السابق، ص ص71 - 72.

³ المرغتي، المرجع السابق، ص27.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

أعمال النهب وانتهاك الحرمات، حيث تعاركت القبائل فيما بينها، كما وقع بين الحيانية والشرابة وفزاز في فاس¹.

في ظل هذه الأوضاع المتدهورة تفاقمَت المشكلات إذ انتشرت المخدرات والمسكرات والتبغ حتى بين بعض العلماء، مما أثار جدلاً واسعاً حول مشروعيتها، وأمام هذا الفساد المنتشر لجأت فئة من الناس إلى حياة الزهد والعزلة، معتبرين أنهم يعيشون في ما وصفوه بـ "آخر الزمان"².

وأما فيما يتعلق بالوضع العلمي فقد بلغت الحياة الفكرية ذروتها في عهد المنصور، حيث تجسّد ذلك بشكل خاص في زيادة عدد معاهد العلم والمدارس، وانتشار المراكز الثقافية في الحواضر والبوادي على حد سواء، إلى جانب تزايد عدد العلماء والطلبة وتنوع مجالات تخصصاتهم³، وبغض النظر عن إخلاص العديد من أفرادها للقضايا الوطنية والدينية، فإن نشاطهم الثقافي وتكوينهم العلمي كان لهما تأثير مباشر في تعزيز شخصياتهم السياسية والمذهبية، وعلى سبيل المثال كان محمد المهدي معروفاً بقدرته على إقناع الفقهاء والمستشارين برؤيته الخاصة. أما أحمد المنصور فقد ساهم في الحركة الفكرية ليس فقط بفضل نفوذه الملكي بل أيضاً بفضل ثقافته الواسعة، في حين أن زيدان تمكن في النهاية من إقناع الزعيم الشعبي المثقف يحيى بن عبد المنعم⁴ بضرورة إنقاذه من مواجهة ابن أبي محلي، وكان لحججه الدينية والفكرية دور كبير في الدعم الذي قدمه له هذا الزعيم⁵.

استجاز أحمد المنصور عدداً من علماء مصر من أجل تعزيز مكانته العلمية على المستوى المشرقي مثل بدر الدين القرافي وأبي عبد الله محمد البكري، وشملت دراسات المنصور مجالات عديدة مثل

¹ المرغتي، المرجع السابق، ص 30 - 31.

² نفسه، ص 31 - 32.

³ أحمد بن القاضي، المنتقى الملقب بالمنصور على مآثر الخليفة المنصور، تح. محمد رزوق، مكتبة المعارف، ب ط، ج 1، الرباط المغرب، 1986م، ص 228.

⁴ يحيى بن عبد المنعم: هو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي الداودي المناني كان فقيهاً وعالمًا متنوع المعارف، تلقى العلم بفاس عن كبار العلماء، أبرزهم الشيخ أبو العباس أحمد الحسني تميز بالشعر والصلاح، وتوفد الناس عليه كما كان الحال مع أسرته، غير أن مساره عرف منعطفاً سياسياً حين حاول التدخل في شؤون الحكم. ينظر: الناصري، المرجع السابق، ص 35.

⁵ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 399.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

الحديث والفقه والنحو واللغة والهندسة والجبر، وكان له عدد كبير من الشيوخ مثل محمد بن يوسف الدرعي وأحمد المنجور وغيرهم¹.

كما ألف أحمد المنصور العديد من الكتب في الشؤون السياسية والعسكرية، وكتب شروحاً على العديد من الكتب الفقهية والعلمية، وكان يولي اهتماماً كبيراً بالمفكرين والعلماء، وحريصاً على استشارتهم لتصحيح آرائه².

بدأت سياسة تشجيع العلم والعلماء والطلبة تؤتي ثمارها، حيث تنافس الناس في تلك الفترة المباركة على طلب العلم والانشغال به، معتبرين إياه مصدر فخر واعتزاز، مما أدى إلى وفرة العلماء وتعدد التخصصات وزيادة عدد المشايخ والطلبة، وظهر إبداعات في التأليف والتصنيف، وفي روضة الآس لأحمد المقرئ، الذي عاش في فاس ومراكش خلال حكم المنصور، ووجود تراجم لأربعة وثلاثين عالماً مغربياً تفوقوا في علوم الدين والحديث واللغة، بالإضافة إلى الطب والهندسة والحساب والتنجيم وبقية فنون الأدب والمعرفة³.

ومن أبرز المؤسسات الدينية والعلمية خلال هذه الفترة:

الزاوية الدلائية: لعبت دوراً محورياً في المشهد الديني والعلمي بالمغرب، حيث يرجح تأسيسها في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري (حوالي 974هـ/1566م) على يد أبي بكر بن محمد بن سعيد الدلائي. وقد اكتسبت أهميتها بفضل احتضانها للعلماء والطلبة، إلى جانب ما اشتهرت به من إطعام لروادها وإكرام الضيوف، حيث عُرف ابن مؤسسها محمد بن بكر بسخائه حتى قيل عنه: "فكانت مراجله دائماً تغلي وطباخه لم يزال يفرغ و يملئ"⁴.

تميزت الزاوية أيضاً بترسيخ التعليم الديني والعلمي، فوفرت للطلاب مساكن وخزانة علمية ضخمة قُدرت كتبها بنحو عشرة آلاف، كما تبنت الطريقة الشاذلية المتصلة بالإمام الجنيد، والتي تُعد من

¹ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 399.

² نفسه، ص 399 – 400.

³ عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 317.

⁴ محمد الصغير الإفرائي، ياقوتة البيان أرجوزة في البلاغة وشرحها، تح. عبد الحي السعيد، دار الكتب العلمية، ب ط، لبنان، 2007م، ص 36.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

أكثر الطرق الصوفية التصاقاً بالسنة مما ضمن لها انتشاراً واسعاً في المغرب، وأصبحت مركزاً لنشر الثقافة العربية ومأوى للعلماء والطلاب، وقد تخرج منها عدد من كبار العلماء مثل الحسن اليوسي وأحمد المقرئ، كما استقطبت شيوخاً من خارجها أمثال أحمد بن القاضي والحسن الدرعي¹.

الزاوية الناصرية: بدأ نشاط الزاوية الناصرية سنة 1040هـ بعدما استقر فيها الشيخ محمد بن ناصر، فصارت مركزاً لتدريس علوم متنوعة مثل الفقه والحديث والتفسير واللغة، وذاع صيتها فصار يتوجه إليها كبار العلماء منهم المرغيثي الذي كان ينصح الحكام ويخاطبهم في أمور الدين، واستمر الإشعاع العلمي للزاوية بعد وفاة مؤسسها، حيث تابع الشيخ أحمد بن ناصر نفس المسار مما جعل درعة منطقة علمية مشهورة يقصدها طلاب العلم من كل جهات².

وكان وراء هذا الازدهار عوامل عديدة ساهمت في إشعاع الزاوية الناصرية، ومن أبرزها نشاط التعليم الذي انتعش بفضل كثرة العلماء وتوافد الطلبة، مما أتاح تنشيط حلقات الدروس في شتى العلوم، وإنشاء مكتبة علمية على يد الشيخ محمد بن ناصر الغنية بالمخطوطات، التي جمعت شراءً أو نسخاً بهدف تمكين الطلاب من الإطلاع على مختلف العلوم، ولا يزال بعضها محفوظاً إلى اليوم ومن جهة أخرى كانت الرحلات إلى الحج فرصة للعلماء للقاء شيوخ المشرق والحصول على الإجازات، فنتج عن ذلك تواصل ثقافي وأدبي مهم، ترك آثاره في شكل قصائد وكتب، كما نشط التأليف العلمي والأدبي خاصة في تدوين الرحلات، إلى جانب ما أنتجته الزاوية من أدب في شكل قصائد مدح وثناء وشروح أدبية³.

الزاوية الفاسية: أسسها أبو المحاسن الفاسي⁴ في مخفية من مدينة فاس كمركز علمي هام، وكانت ترتبط ارتباطاً قوياً بالزاوية الدلائية، التي أشار إليها الأستاذ محمد حجي في كتابه قائلاً: "...فأبو

¹ محمد الصغير الإفرائي، ياقوتة البيان أرجوزة في البلاغة وشرحها، المرجع السابق، ص 37 - 38.

² نفسه، ص 39 - 40.

³ نفسه، ص 40 - 42.

⁴ أبو المحاسن الفاسي: من أبرز رموز التصوف بفاس، ومن المؤسسين للطريقة الشاذلية فيها. اتسم بتصوف سني متزن يجمع بين الشريعة والحقيقة، وكان مشربه محمدياً. سيرته تُظهر توازناً بين العلم والعمل الروحي، ورسائله الصوفية تعكس عمق تجربته. كما كان عالماً متمكناً تُرجع إليه الفتوى، وقدوة في الورع والأخلاق لم تؤثر علاقاته بالسلطة على ثباته في السير على نهج الزهد والاستقامة. ينظر: أبي أحمد محمد العربي بن يوسف الفهري، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن نبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب، در وتح. الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، د.د.ن، ب ط، د.ت.ن، ص 6 - 7.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

المحسن الفاسي هو أحد الشيوخ الأولين في السلسلة التي تصل محمد بن أبي بكر الدلائي بالإمامين أحمد زروق ومحمد بن سليمان الجزولي¹، وقد تلقى الحافظ أحمد بن أبي المحاسن الفاسي العلم على يد شيخ أبي بكر الدلائي، وأستقر أخوه أبو حامد محمد العربي الفاسي لفترة طويلة في تدريس الحديث والعلوم في الزاوية الدلائية، حيث تخرج على يديه عدد من العلماء الدلائيين².

الزاوية العياشية: أسسها الشيخ محمد بن أبي بكر العياشي³ سنة 1044هـ، كانت تربطها علاقات قوية مع الزاوية الدلائية، ولها دور كبير في الحياة العلمية في تلك الفترة، حيث كانت تستقطب الطلبة من مختلف المناطق، من أبرز الشخصيات المرتبطة بها الشيخ أبو سالم العياشي وابنه حمزة، وتقع هذه الزاوية في جنوب مدينة مدلت في إقليم تافيلالت، وتعد من أكبر المدارس الصوفية في ذلك العهد، حيث كانت تعني بتدريس العلوم وتقديم الطعام وتلقين الأذكار، بالإضافة إلى تربية الأفراد تربية روحية مطابقة للسنة النبوية⁴.

تعد خزانة الزاوية العياشية من أعظم المكتبات في المغرب، حيث كانت تحتوي على مجموعة كبيرة من الكتب القيمة التي جمعها أهل الزاوية من مختلف الأماكن، وقد اهتم مريدها بجمع الكتب عن طريق الشراء والنسخة، وكانوا يحرصون على جلب الكتب من الشرق أيضاً. ومن أبرز الشخصيات التي ساهمت في جمع الكتب الشيخ أبو سالم عبد الله العياشي وابنه حمزة، اللذان اشتهرا بجمع الكتب وحفظها. وقد أوقف الشيخ محمد بن أبي بكر العياشي وأخوه عبد الجبار جميع الكتب في الخزانة على أبنائهما الذكور، ثم استمر الأبناء في هذا التقليد وأوقفوا الكتب على من كان يستحقها من أهل الزاوية. وقد نقل الأستاذ محمد المنوني عن أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي الصنهاجي قوله: "وجدت بها ما يملأ العين قرة، ويلى عن الأوطان كل غريب: دواوين في جل الفنون جليلة، ينال بها

¹ محمد حجي، المرجع السابق، ص 67.

² عبد الكبير العلوي المدغري، الفقيه أبو علي اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية، مطبعة فضالة، ب ط، المحمدية المغرب، 1989م، ص 74.

³ محمد بن أبي بكر العياشي: من أبرز المجاهدين في المغرب، تلقى توجيهه للجهاد من شيخه عبد الله بن حسون، فخاض معارك في مناطق متعددة كدكالة والشاوية وطنجة وسلا. واجه الدلائيين الذين أضعفوا قوته، فالتجأ إلى قبيلة الخلط التي غدر به بعض أفرادها فقتلوه، ودُفن جثمانه بروضة الشيخ أبي الشتاء سنة 1051هـ. ينظر: عبد الله السويسي، تاريخ رباط الفتح، تق. محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ب ط، الرباط المغرب، 1979م، ص 107.

⁴ عبد الكبير العلوي المدغري، المرجع السابق، ص 74 - 75.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

الآمال كل أريب"، وبفضل ما ضمته خزانة الزاوية العياشية من كتب وما كان فيها من علماء وشيوخ، تمكنت الزاوية من القيام بدورها العلمي وساهمت في ملء فراغ كبير سواء في منطقتها أو على مستوى البلاد كلها¹.

كما اشتهر المنصور بجمع الكتب وتحييسها، ولا تزال مكتبة القرويين تحتفظ بعشرات المخطوطات التي أوقفها باسمه، ومن بين ما تبقى من مقتنياته خزانة زيدان الشهيرة التي استولى عليها الإسبان ونقلوها إلى قاعات الإسكوريال، حيث لا تزال محفوظة إلى اليوم، وقد أوكل زيدان إلى الراهب الإيرلندي أنطوان دوسانت ماري مهمة ترجمة كتبها اللاتينية إلى الإسبانية، وهي لغة كان يجيدها معظم ملوك السعديين، ثم تولى أحد العلوج بترجمتها إلى العربية، وإلى جانب ذلك كانت هناك خزانات عامرة بالكتب ألحقت بالجوامع الأساسية، مثل جامع للعودة (باب دكالة)، وجامع أبي العباس السبتي وجامع المواسين².

العلوم النقلية والعقلية:

1. الأدب والشعر: تميزت الحركة الأدبية بازدهار فنون الشعر والنثر، حيث كان المدح أكثر الفنون انتشاراً، واتخذ الشعراء وسيلة للتقرب من السلاطين، ومن أبرزهم أبو فارس الفشتالي، كما برز شعر الرثاء والغزل حيث نظم بعض الملوك مثل المتوكل والمنصور وزيدان قصائد في هذا المجال. أما النثر الأدبي فقد بلغ أوجّه في هذه المرحلة في الوقت الذي كان فيه المشرق يعيش واحدة من أسوأ فتراته بسبب ضعف الأسلوب وتدهوره، وأما بالنسبة لأسلوب كتابة الظهائر والرسائل الرسمية فرغم طابعه الإداري إلا أنه كان يتميز بدقة وعناية، مع مراعاة الإيجاز والتركيز على المعنى الواضح والمباشر، كما يظهر في رسائل السلطان زيدان³.

2. أبرز الأدباء والمؤلفات: برز العديد من الأدباء في العصر السعدي ومنهم أبو فارس الفشتالي الذي تولى ديوان إنشاء وكان يتبع بدرجة كبيرة أسلوب ابن خلدون في كتابه "العبر" وأبرز مثال على ذلك يظهر في كتابه "مناهل الصفا". إضافة إلى محمد بن علي الهوزالي الذي كان يعرف

¹ عبد الكبير العلوي المدغري، المرجع السابق، ص 75 – 76.

² إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 400.

³ نفسه، ص 402 – 404.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

بالنابغة وسعيد الحامدي، كما ازدهرت المؤلفات الأدبية مثل "طلائع اليمن والنجاح" لمحمد التاملي ودواوين الشعراء ك: "ديوان سعيد بن علي الحامدي"¹.

3. العلوم الدينية: بفعل الصراعات الدينية والسياسية، شهدت العلوم الدينية ازدهارًا ملحوظًا، حيث برز في علم القراءات علماء أمثال محمد بن أبي المحاسن الفاسي، وفي التفسير كل من الشطبي وعلي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي. كما شهد الفقه تطورًا بفضل علماء أمثال ابن عاشر وأبو العباس أحمد بن علي المنجور، وازدهر التصوف من خلال شخصيات مثل عبد الوارث الياصوتي، بينما ساهم عبد بن محمد الرحمن القصري والشرقي بن أبي بكر الدلائي في مؤلفات علم الحديث².

4. علوم اللغة والنحو: حافظت علوم اللغة والنحو على مكانتها حيث استمر تدريس الألفية والأجرومية، وبرز كبار النحاة مثل محمد بن عرضون ويوسف التدغي ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي، ومن أبرز المؤلفات اللغوية "فتح اللطيف في علم التصريف" و"حديقة الأزهار". وبالنسبة للمعاجم فإن مشاركة المغاربة فيها كانت محدودة لأن أغلب مصادر اللغة العربية الفصيحة سواء كانت مصادر مباشرة أو غير مباشرة كانت متوفرة أساسًا في بلدان المشرق العربي³.

5. التاريخ والتراجم: شهدت كتابة التاريخ والتراجم تطورًا كبيرًا، خاصة التاريخ المحلي حيث وثق المؤرخون الأحداث السياسية والاجتماعية، ومن أبرز المؤرخين الفشتالي والشطبي وإبراهيم الورياغلي، في حين تميزت المؤلفات التاريخية مثل "مناهل الصفا" و"الجمان في تاريخ الزمان" و"تاريخ السودان" بتوثيق دقيق لتاريخ الدولة السعدية. كما برزت كتب التراجم، مثل "جذوة الاقتباس" لابن القاضي⁴.

6. الطب والعلوم: رغم تراجع الطب مقارنة بالعصور السابقة إلا أنه لم يختفِ تمامًا حيث شهد القرنين العاشر والحادي عشر حركة مميزة في مجال الكتب الطبية مثل "حديقة الأزهار"، كما لجأ

¹ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 404 - 406.

² نفسه، ص 406، 409.

³ نفسه، ص 409 - 410.

⁴ نفسه، ص 401 - 412.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

السعديون إلى الاستعانة بأطباء أجنب مثل ككيوم بيزار وأرنول دوليل، مما يدل على استمرار الاهتمام بالعلوم الطبية رغم محدودية التطوير المحلي¹.

7. الرياضيات والهيئة: إلى جانب المجالات الأدبية والدينية شهد المغرب إقبالاً غير مسبوق على الرياضيات والهيئة، نظرًا لأهميتهما في الموارث والهندسة وتحديد الأوقات، ومن أبرز العلماء الذين أهتموا بالرياضيات محمد بن أبي العافية المكناسي ومحمد بن أبي القاسم وأبو عبد الله محمد بن أحمد السالمي².

أما في علم الهيئة³، فقد برز أحمد الثقلي وأحمد الولي الطاطائي وعبد الرحمن البعقلي الجزولي، الذي صنع ساعات فلكية للمساجد، كما كان السلطان المنصور الذهبي مهتما بالرياضيات، ودرس بنفسه كتاب إقليدس⁴، وأيضاً كان شغوفا بدراسة الفلك والتنجيم ويقدر الأدوات العلمية المتعلقة بالشمس والقمر مثل الكرات الفلكية والساعات والآلات الفلكية المستخدمة لقياس الزوايا والمسافات⁵.

تراجعت الحركة العلمية في المغرب بشكل كبير بعد وفاة المنصور الذهبي، خاصة عندما طلب السلطان المأمون بن المنصور الملقب بالشيخ من العلماء أن يوافقوا على احتلال العدو لمدينة العرائش⁶، إلا أنهم رفضوا ذلك فاضطر العديد منهم للفرار إلى البوادي تفادياً لإصدار فتوى مرغمين على إصدارها، وحفاظاً على دينهم وأنفسهم⁷، فكان لهذا تأثير سلبي كبير على المجتمعات العلمية في

¹ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 414.

² نفسه، ص 415.

³ علم الهيئة: يُعد من فروع علم الرياضيات ويُعنى بدراسة أوضاع الأجرام السماوية البسيطة، سواء العلوية منها أو السفلية، من حيث كميتها وكيفيتها، بالإضافة إلى مواقعها وحركاتها وما يترتب عنها من ظواهر، وتنقسم الكمية في هذا السياق إلى نوعين: كمية منفصلة، مثل عدد الأفلاك وبعض الكواكب، باستثناء العناصر التي تُتناول ضمن العلوم الطبيعية، وكمية متصلة مثل أحجام الأجرام والمسافات بينها واليوم وأجزائه وما يتفرع عن ذلك. ينظر: المولوي محمد أعلى بن علي التهانوي، موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية، خياط للكتب والنشر، ط 1، ج 1، بيروت لبنان، 1853م، ص 47.

⁴ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 416.

⁵ أحمد بن القاضي، المرجع السابق، ص 229.

⁶ عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 274.

⁷ أحمد بن يوسف الفاسي، الدرر الحسان في الكلام على ليلة النصف من شعبان، تح. عبد الرزاق بن محمد زريوح، دار الكتب العلمية، ب ط، لبنان، 2021م، ص 27 - 28.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

المدن المغربية وخاصة في فاس، ولكن من العوامل الخفية التي كانت بمثابة لطف من الله ساعدت على الحفاظ على المستوى العلمي ظهور الزاوية الدلائية في تلك الفترة، وكأنها بعثت للحفاظ على التراث العلمي والأدبي الذي كان مهددًا بالضياع، وقد قامت الزاوية بدورها على أكمل وجه وفي فترة قصيرة أصبحت مركزًا مهمًا لنشر الثقافة العربية بين قبائل المغرب، ومركزًا حصينًا للعلوم الإسلامية في البلاد، تخرج منها العديد من العلماء البارعين والأدباء المرموقين ومن أبرزهم علامة المغرب في تلك الحقبة أبا علي اليوسي، وكان من المفترض أن يكون للمغرب وخاصة القبائل شأن آخر في مجال المعارف، لولا قيام مولاي رشيد بتدمير الزاوية، لكن رغم ذلك كان من حسنات مولاي رشيد أنه بعد تدمير الزاوية لم يوقف رجال العلم من مواصلة مهامهم، بل نقلهم إلى فاس حيث واصلوا التعليم والتذكير دون خوف أو تردد، وكان كثيرًا ما يوليهم عنايته بل إن أحدهم وهو العلامة أبو عبد الله المرابط من أفاضل أهل بيته في النحو واللغة كان من جلسائه المقربين¹.

المبحث الثاني: نشأة الدولة العلوية

أولاً: بداية ظهور العلويين وتأسيس حكمهم

1 - أصل العلويين و نسبهم:

اختلفت الروايات حول أصل العلويين ونسبهم، فتذكر بعضها أنهم ينتسبون إلى جددهم علي الشريف، الذي يعود أصله إلى سلالة علي بن أبي طالب، وقد هاجر أجدادهم من ينبع في الحجاز²، وهي الأرض التي منحها عمر بن الخطاب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد ظلت ذريته مستقرة هناك حتى خرج أحد الأشراف، وهو المولى حسن بن قاسم، متجهًا نحو المغرب في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، حيث لُقّب بـ"الداخل"³.

وانطلاقًا من هذه الروايات حول نسب العلويين وأصلهم الشريف، لا بد أولاً من ذكر تسلسل نسبهم، الذي يُعد من أكرم الأنساب وأشرفها، فنقول الملوك الثلاثة الأوائل منهم، وهم: مولى محمد

¹ عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 274.

² محمد علي الرحامي ومحمد الأمين محمد، المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، ب ط، المغرب، د.ت.ن، ص 212

³ بوركية السعيد، دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، مطبعة فضالة، ب ط، ج 1، المحمدية المغرب، 1996م، ص 146

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

ومولى الرشيد ومولى إسماعيل، أبناء مولى الشريف ابن مولى علي ابن مولى محمد ابن مولى علي ابن مولى يوسف ابن مولى علي الملقب بالشريف ابن مولى الحسن ابن مولى محمد ابن مولى الحسن ابن مولى القاسم ابن مولى محمد ابن مولى أبي القاسم ابن مولى عبد الله ابن مولى أبي محمد ابن مولى عرفة ابن مولى الحسن ابن مولى أبي بكر ابن مولى علي ابن مولى الحسن ابن مولى أحمد ابن مولى إسماعيل ابن مولى قاسم ابن مولى محمد المدعو النفس الزكية ابن مولى عبد الله الكامل ابن مولى الحسن المثنى ابن مولى الحسن السبط ابن مولى علي بن أبي طالب، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم¹.

وقد أورد هذا النسب الذي يستحق أن يُسمى سلسلة الذهب جماعة من العلماء الأكابر، كالشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي والشيخ الإمام أبي عبد الله محمد العربي بن يوسف الفاسي² وقد أكد على صحة نسب العلويين الشيخ أبو علي اليوسي، بقوله: "ان شرفهم مقطوع بصحته كالشمس الضاحية"³.

وخلاصة القول إن شرف السادة السجلمايين أمرٌ لا جدال فيه وهو متواتر عند أهل المغرب، حتى تجاوز حد القطع واليقين⁴.

2- بداية ظهور العلويين وتأسيس حكمهم

يُجمع المؤرخون على أن الظهور الأول للعلويين في المغرب يعود إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري، ويُعد المولى حسن بن قاسم، الملقب بـ: "الداخل"، أول من دخل منهم إلى المغرب، وقد ذكر صاحب الاستقصا عدة أسباب لهذا الدخول من بينها:

1. أن الشيخ أبا إبراهيم وهو من ذرية عمر بن الخطاب كان السبب في مجيئه إلى المغرب.

¹ محمد الصغير الافرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، المرجع السابق، من 409.

² نفسه

³ عبد الكبير العلوي المدغري، المرجع السابق، ص 34

⁴ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، تح وقع جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، ب ط، ج7، دار البيضاء، الغربي، 1997م، ص 4.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

2. يرى بعض المؤرخين أن أهل سجلماسة كانوا يعانون من عدم صلاح ثمار أراضيهم، فقرروا التوجه إلى الحجاز لطلب أحد أبناء البيت النبوي تبركاً به، فوقع اختيارهم على المولى حسن، فاستجاب الله لدعائهم وأصلحت ثمارهم حتى أصبحت سجلماسة تُعرف بـ "هجر المغرب"¹.
3. أن قدوم المولى حسن بن قاسم كان نتيجة لإنحسار نفوذ الأشراف من آل إدريس رضي الله عنه في المغرب، بعد أن تعرضوا للقتل والتشريد على يد أمراء مكناسة وغيرهم، مما أدى إلى ندرة الشرفاء في البلاد وإنكار الكثيرين لنسبهم حفاظاً على حياتهم. ومع صعود الدولة المرينية، التي عرفت بتقديرها للأشراف واحترامها لهم، قرر أعيان سجلماسة استقدام أحد أبناء البيت النبوي للتبرك به، فوقع اختيارهم على المولى حسن بن قاسم².

بدأت دولتهم بسبب الخلاف الذي وقع بين المولى الشريف بن المولى علي الحسيني السجلماسي وبعض أهالي تابوعصامت من سجلماسة، فاستنجد الشريف بأهل الساحل فلباه السيد علي بوحسون، الذي كان من أحفاد سيدي أحمد بن موسى بن جامع السملالي الذي كانت تربطه علاقة صداقة به، قاد بوحسون جموعه وحاصر تابوعصامت سنة 1043هـ، زمن السلطان الوليد بن زيدان السعدي فاستغاث أهل تابوعصامت بأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي، فأرسل هذا الأخير جيشاً وأقنع بوحسون بالانسحاب بدون قتال فانسحب بالفعل، بعد ذلك تقرب أهل تابوعصامت إلى بوحسون وخدموه مما جعل الشريف يخسر مكانته لديه استغل مولاي محمد بن الشريف هذا الوضع وخرج ليلاً مع مائتي فارس، فهاجم قصبة تابوعصامت وسيطر عليها ثم أخبر والده بالنصر وفي تلك أثناء سرق بعض أصحابه التبر، فعاقبهم مولاي محمد، بقتل نحو ثمانين رجلاً لخيانة العهد³.

جاء المولى الشريف بجنوده وأموال كثيرة، وضربت له الطبول وعُقدت له البيعة، وعندما علم بوحسون بالأمر غضب سراً، ثم دبر للقبض على الشريف عبر وسيط وهو أبوبكر الدلائي، غير أن هذا الأخير رفض بسبب صداقته مع الشريف، لكن بوحسون هددته فاضطر للمكر بالشريف، وقع الشريف في الأسر بعدما أغلقوا عليه الأبواب وخدموه بدعوى اللقاء، واشتد الحصار عليه فأرسل

¹ بوركية السعيد، المرجع السابق، ص146.

² نفسه، ص147.

³ محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تح وتو. أحمد العماري، دار المأثورات، ط1، المغرب، 1986م، ص7.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

مولاي محمد أخاه مولاي الحفيد إلى الزاوية الدلائية، فطلبوا منهم الانتظار حتى يتواصلوا مع بوحسون لكنهم رفضوا انتظاره ورحلوا، اشترط بوحسون مبلغًا ماليًا كبيرًا مقابل إطلاق الشريف، فدفع له قنطار ونصف من الذهب ولكنه غدر به واعتقله مجددًا، ثم طلب منه أن يسلم اثنين من أبنائه كضمان، فرفض الشريف تسليم ابنه محمد لأنه سلطان كما رفض تسليم الرشيد حتى لو فقد بصره¹.

بحلول عام 1051هـ استقل مولاي محمد بحكم تافيلالت بينما عاد والده من الأسر، ويروي أبو عبد الله الطيب الفاسي أن أبا حسون أطلق سراحه، بينما تشير روايات أخرى إلى أنه فر بنفسه إلى وطنه، وفي نفس العام انسحب أهل الساحل من تافيلالت واستتب الأمر لمولاي محمد في سجلماسة والمناطق المجاورة ليبدأ بذلك تأسيس الدولة العلوية².

1- السلطان مولاي محمد بن الشريف:

يُعد السلطان مولاي محمد بن الشريف من أبرز زعماء الدولة العلوية الأوائل، عُرف بالشجاعة وحسن القيادة³، في أعقاب انسحاب أصحاب أبي الحسن من سجلماسة سنة 1050هـ، بويع السلطان أبو عبد الله مولاي محمد بن الشريف الحسني السجلماسي بالإجماع من أهل الحل والعقد⁴، فتولى الحكم وأحكم سيطرته على سجلماسة وما جاورها من نواحي الصحراء⁵، ومع اتساع سلطانه استدعاه أهل فاس وعرب الغرب إلى بلادهم، فلبى الدعوة⁶، ودخل فاس عام 1060هـ، غير أن وجوده هناك اصطدم بمعارضة من محمد الحاج الدلائي، فاندلعت معركة بينهما عند رأس الماء، عاد على إثرها إلى تافيلالت بعد أن نجح في طرد أهل الساحل منها. كما خاض مواجهات مع سكان سوس الأقصى وبسط سلطته على درعة والساحل والمناطق المجاورة وقد سبق هذه المعركة واقعة مشهورة بينه وبين الدلائي تُعرف بوقعة القاعة سنة 1056هـ، انهزم فيها مولاي محمد واضطر للانسحاب، إلا أنه عاد ونظم صفوفه، وتم صلح مؤقت بين الطرفين قبل أن ينقض بسبب فتن

¹ محمد الضعيف الرباطي، ص8.

² نفسه، ص10.

³ نفسه، ص11.

⁴ محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، المرجع السابق، ص425.

⁵ محمد الضعيف الرباطي، المرجع السابق، ص11.

⁶ محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، المرجع السابق، ص425.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

أحدثها الشيخ أحمد العثماني الخنكي. وفي تطور لاحق، تمكن مولاي محمد من القضاء على بعض خصومه وأعدائه إثر اكتشاف خيانتهم، ما أثار حفيظة الدلائيين مجددًا، فخططوا لإحياء الفتنة دون جدوى¹.

بعد وفاة والده مولاي الشريف سنة 1659م، تجددت بيعة أهل سجلماسة لمولاي محمد، مما دفع أخاه مولاي الرشيد إلى مغادرة المدينة²، وبرغم التزامه السابق ببيعة أخيه، نشب بينهما نزاع بعد وفاة والدهما، فتنقل الرشيد في عدة مناطق، ووقف عن كذب على أحوال البلاد، ثم أعلن ثورته من تازة سنة 1074هـ³، بعد أن قتل ابن مشعل واستولى على أمواله، مما مكنه من استقطاب الأنصار⁴، وعندما رفض تسليم الأموال لمولاي محمد، ازداد التوتر، فاندلعت معركة بينهما بتمسان انتهت بهزيمة الرشيد، إلا أن مولاي محمد لم يلاحقه بسبب توتر العلاقة مع القبائل المحلية مما جعل هذه القبائل وعلى رأسها الشراكة تميل إلى دعم مولاي الرشيد⁵.

وبعد انسحاب مولاي محمد إلى سجلماسة، عاد لمهاجمة أخيه في بسيط آنجاد حيث التقى الجيشان في محرم 1075هـ/1664م، ووجهت أول رصاصة إلى مولاي محمد الذي قُتل في المعركة، وهو ما دفع جيشه إلى الانضمام لمولاي الرشيد، فتدعمت سلطته بشكل كبير⁶، وقد دُفن مولاي محمد أولاً في دار ابن مشعل، ثم نُقل جثمانه إلى بني يزناسن بأمر من أخيه⁷.

2- السلطان مولاي الرشيد:

بعد مقتل المولى محمد بن الشريف، بايعته القبائل بيعة عامة، وانضمت إليه قبائل الأحلاف وبنو يزناسن. راسل العرب والبربر ودعاهم للطاعة، فاستجابوا وقدموا له الهدايا، كما التحق به رجال جيش أخيه، فأكرمهم ومنحهم خيولًا وسلاحًا، ولما احتاج إلى المال، ساوم والده ابن التاجر اليهودي على

¹ محمد الضعيف الرباطي، المرجع السابق، ص 11 - 14.

² محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 79.

³ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 22 - 23.

⁴ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 80.

⁵ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 23.

⁶ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 81.

⁷ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 23.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

كشف خزانة زوجها مقابل حياة ابنها، فاستخرج الذهب ووزعه على جنده، مما ساعد على استقرار حكمه، بعدها جهز جيشه وأرسل رسائل تهديد وإنذار للرافضين بيعته، ثم توجه إلى فتح المناطق التي استعصت على أخيه نزل إلى وادي ملوية بعد استقراره بها دون قدوم وفود القبائل، تقدّم المولى الرشيد نحو تازة فاقتحمها وبايعه سكانها، وعند وصول خبر فتح تازة إلى فاس تحالف أهلها مع الحيانة والبهاليل وأهل صفرو ورفضوا بيعته خوفاً من تكرار ما فعله أخوه أمر قادة فاس السكان بشراء السلاح وتوفير البنادق واستعرضوا تجهيزاتهم في "اللعب بالميز"، وأكدوا حلفهم لمحاربتة فتجنّبهم الرشيد وتوجه إلى سجلماسة¹.

رفضت سجلماسة بيعته ونصبت ابن أخيه محمد الصغير، مما جعل انطلاق الدولة العلوية صعباً بسبب غياب آلية واضحة لولاية العرش حيث كان على كل مرشح مدعوم من قوى اجتماعية أو سياسية أن يخوض صراعاً مع الأمراء والأطراف الشعبية المعارضة لفرض نفسه، كما كانت مراكز القوى ترفض أن يكون السلطان بعيداً عنها واستمرت ثورة محمد الصغير تسعة أشهر قبل أن تُقمع. عاد محمد الصغير في ظروف مجهولة، ثم ثار مجدداً سنة 1082هـ، وقُبض عليه ونُقل إلى تافيلالت².

توجه الرشيد نحو الريف وقضى على نفوذ الشيخ أعراس وأسرّه ثم عفا عنه، بسيطرته على الريف وسيطر على محور التجارة مع السودان، تواصل مع تاجر فرنسي يدعى رولاند فريجوس كان يخطط لإنشاء مؤسسة تجارية بدعم من كولبير وفي سنة 1666م دخل الرشيد فاس وقتل زعماءها لكنه عامل السكان بلين فبايعوه ثم توجه إلى غيلان في تطوان وسلا المتحالف مع الإنجليز مما أثار سخط السكان وسهل على الرشيد السيطرة ففر غيلان إلى الجزائر، حاول الإنجليز التفاوض مع الرشيد وأرسلوا سفيرهم هنري هيوارد بهدايا ومدافع، لكن المفاوضات فشلت بعد أن طالب هيوارد تسليم وجهاء مغاربة كرهائن لضمان سلامته³، وفي 1668م قضى الرشيد على الدلائيين ودخل عاصمتهم، عفا عن السكان لكنه نفى زعيمهم محمد الحاج الدلائي إلى تلمسان، وهدم الزاوية ومحا آثارها، ففتح له الطريق إلى مراكش سنة 1669م فقضى على سلطة الشبانات هناك وبقي أمامه السوس فبعد وفاة أبي حسون السملالي سنة 1670م خلفه ابنه محمد فشن الرشيد هجوماً على المنطقة سنة

¹ الناصري، المرجع السابق، ص 32 – 33.

² إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 24.

³ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 81 – 82.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

1671م، واستولى على تارودانت وإيليغ معقل آل أبي حسون، وبهذا أنهى نفوذهم وخضعت له السوس بأكملها ثم بدأ في توطيد سلطته فبنى جيش "الشرافة" وأسكنهم قرب فاس، ونقلهم لاحقاً إلى منطقة بين ورغة والسبو، أمر بسك عملة جديدة سنين ب "سمكة الرشيدية" وأقرض التجار فاس بمبالغ كبيرة¹، لم تدم انتصارات المولى الرشيد طويلاً، إذ توفي في فجر السبت 11 ذو الحجة 1082هـ/1671م بمراكش، متأثراً بإصابة في رأسه بسبب اصطدامه بشجرة أثناء ركوبه في عيد الأضحى كان عمره نحو 43 سنة وقد حكم المغرب 12 سنة وثلاثة أشهر².

3- السلطان المولى إسماعيل:

بعد وفاة السلطان المولى الرشيد بمدينة مراكش، وصل نبأ وفاته إلى شقيقه وخليفته بمدينة فاس الجديد السلطان مولاي إسماعيل، وذلك ليلة الأربعاء السادس عشر من ذي الحجة سنة 1082هـ، فبُويع له في نفس اليوم، وحضر البيعة كبار أعيان المغرب ووجهاءه، دون أن يُنازع أحد في أحقيته بالخلافة، حيث تمت البيعة في الساعة الثانية من يوم الأربعاء 16 ذي الحجة 1082هـ، الموافق للثالث من أفريل، وكان عمره حينها ستة وعشرين عاماً، فقد وُلد سنة 1056هـ³ في وقعة القاعة⁴.

- ثورات الأقاليم وأزمة العرش:

بعد وفاة المولى الرشيد تفجرت سلسلة من الثورات في مختلف أنحاء المغرب نتيجة غياب نظام واضح لتوارث الحكم، وتعدد الطامحين في العرش، خاصة من أبناء العائلة العلوية، كان أبرزهم أحمد بن محرز الذي نال دعم عرب السوس وأهل مراكش، فبدأت من هناك شرارة التمرد على المولى إسماعيل رغم محاولاته توحيد البلاد، اندلعت ثورة مراكش سنة 1082هـ بقيادة ابن محرز بدعم من أخيه الحران، فرفض سكان مراكش بيعه المولى إسماعيل، لكن هذا الأخير تمكن من دخول المدينة بالقوة سنة

¹ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 82 - 83.

² محمد الضعيف الرباطي، المرجع السابق، ص 57.

³ محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، المرجع السابق، ص 42.

⁴ ينظر: الملحق رقم (2).

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

1083هـ/1672م ، أما ثورة فاس تكررت فيها البيعة لابن محرز، فحاصرها المولى إسماعيل 14 شهرًا إلى أن استسلمت سنة 1084هـ/1673م، رغم تعيينه عاملاً جائراً عليها¹.

بدأت ثورة سوس أيضًا بقيادة ابن محرز سنة 1083هـ/1672م، وامتدت إلى درعة وتاكرت في السودان حيث جمع أموالاً طائلة، رغم محاولاته طلب الدعم من الأتراك، استمر الصراع مع المولى إسماعيل حتى قُتل ابن محرز سنة 1096هـ/1684م، واستمرت المقاومة بقيادة الحران حتى افتُحمت تارودانت سنة 1098هـ/1686م، بعد ذلك ظهر محمد العالم بدعم من السوسيين، وهاجم مراكش لكن تم القبض عليه وإعدامه سنة 1116هـ/1704م، وفي سنة 1123هـ/1711م تجددت ثورة سوس بقيادة أبي النصر بن إسماعيل وانتهت سنة 1125هـ/1713م بمقتله على يد عرب أولاد دليم، في ظل معارضة بربرية واضحة لحكم السلطان، أما ثورة الصحراء انطلقت سنة 1088هـ/1677م بقيادة الحران وأخوته، وواجهت حملة قوية من السلطان سنة 1089هـ، لكنها تراجعت بسبب الظروف المناخية، وعادت الثورة سنة 1114هـ/1702م بقيادة أبي النصر الذي سيطر على درعة، لكن السلطان أعاد السيطرة عليها بإرسال ابنه مولاي الشريف².

وثورة الأطلس اندلعت سنة 1088هـ/1677م بقيادة أحمد بن عبد الله الدلائي بدعم من الأتراك الجزائريين، وامتدت من تادلا إلى الشاوية، فاضطر السلطان إلى قيادتها بنفسه واستطاع القضاء عليها بمساعدة المدفعية الثقيلة، وفي الشمال الشرقي ساهم توطين بعض القبائل في مناطق بني يزناسن في إشعال التمرد، الذي دعمه الأتراك، لكن السلطان قمعه سنة 1091هـ/1680م، وبني سلسلة من القلاع لتأمين المنطقة، استمرت الاضطرابات في الأطلس المتوسط، فبنى السلطان قلاعًا مثل أزرو وعين اللوح، وسعى لتحسين الأوضاع الاقتصادية لتخفيف التوتر غير أن الثورة تجددت سنة 1099هـ/1687م، فقاد السلطان حملة كبيرة توجت بفرض الاستسلام وتجرید القبائل من السلاح سنة 1104هـ/1692م، اعتمد السلطان بعد ذلك على الجيش النظامي الذي أعاد بناؤه سنة 1688م، فتمكن بفضل من القضاء النهائي على ثورات الأطلس³.

- تحرير الأراضي المحتلة:

¹ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 35 - 36.

² نفسه، ص 37 - 39.

³ نفسه، ص 40 - 42.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

كان تحرير الأراضي المغربية المحتلة من أولويات السياسة الخارجية للمولى إسماعيل، حيث سعى جاهدًا لاستعادة السيادة الوطنية رغم الصراعات الداخلية. وقد أشار الأفراني إلى هذا البعد التحريري قائلاً: "من محاسن الدولة الإسماعيلية تنقية المغرب من نجاسة الكفر ورد كيد العدو الكافر"¹.

استولى الإسبان على مدينة المعمورة سنة 1614م، لكن المجاهدين من سلا والريف ضغطوا على المدينة حتى عام 1681م، ليتمكن المولى إسماعيل من إعلان الفتح بعد استسلام الحامية الإسبانية. كما كانت مدينة طنجة تحت الاحتلال البرتغالي منذ 1471م، وتعرضت لضغوط متواصلة من المجاهدين حتى تم تسليمها للإنجليز سنة 1661م وبفضل الضغط المستمر من المولى إسماعيل والمجاهدين، اضطرت القوات البريطانية إلى إخلاء المدينة سنة 1684م وفي عام 1689م، استعاد المولى إسماعيل مدينة العرائش من الاحتلال الإسباني، كما استعاد مدينة أصيلة سنة 1691م، وفرض حصارًا على سبتة، لكن موقعها الاستراتيجي حال دون استعادتها²، لكن مع تقدمه في السن واشتداد مرضه في 1139هـ توفي المولى إسماعيل في 28 رجب من نفس العام عن عمر يناهز 83 عامًا ودفن في قصبة مكناس³.

ثانياً: توطيد العلويين لأركان حكمهم

1. المؤسسات السياسية:

أ- الوضعية الحقوقية والسياسية للسلطان: مسألة البيعة

جاء تعريف البيعة بأنها هي من: "مصدر بايع فلان الخليفة يبايعه مبايعة ومعناها المعاهدة والمعاهدة وهي مشبهة بالبيع الحقيقي"⁴.

¹ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 92.

² نفسه، ص 92 - 94.

³ محمد الضعيف الرباطي، المرجع السابق، ص 98.

⁴ محمد فالح العلوي، البيعة في نظام الحكم بالمغرب: الجدور والامتدادات، دعوة الحق، 10/04/2025، 12:20.

<https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8625>

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

تمر البيعة بمراحل تقودها الأسرة المالكة والنخب، وتُحرَّر في حضور العلماء والقاضي ثم تُعَمَّم على السكان في المساجد والأسواق دون مشاركة فعلية لهم، على اعتبار أن معرفة شخص الخليفة ليست شرطاً من منظور الفقه السياسي¹.

ولكن تولي السلطة كان غالباً يُمنح لمن نال تزكية غير مباشرة من السلطان السابق سواء عبر وصية أو إشارات رمزية، كما كانت فرص الوصول إلى الحكم تقوى لمن يشغل منصب "خليفة السلطان" في الحواضر الكبرى ويمتلك دعماً من النخب المخزنية، ورغم التعيين فقد يظل السلطان الجديد تحت تأثير من دعموه ويواجه معارضة تُحسم غالباً بالقوة²، فبعد وفاة المولى الرشيد سنة 1672م بمدينة مراكش لم يكن بإمكان المولى إسماعيل أن يحظى بالبيعة كخليفة له، لولا كونه يشغل منصب "خليفة السلطان" بمنطقة الغرب، مما أتاح له امتلاك جهاز مخزني مصغر يشمل عناصر القوة من جيش وإدارة، وقد مكّنه هذا الوضع من نيل البيعة من قبل هذا المخزن المصغر والذي كان بمثابة حاشيته المقرّبة، وبمرور الوقت بدأت باقي المدن المغربية في إرسال بيعاتها إليه مؤكدة بذلك شرعية الاختيار الذي تم في البداية، باستثناء مدينة مراكش التي لم تبادر بالبيعة، ويرجع امتناع أهل مراكش عن مبايعته إلى وجود منافس له وهو ابن أخيه مولاي أحمد بن محرز الذي كان يشغل منصب "خليفة السلطان" في منطقة تافيلالت، وتمكّن بدوره من كسب بيعة سكان الجنوب المغربي، ونتيجةً لهذا الانقسام دخل المولى إسماعيل في صراع عسكري طويل مع خصمه قبل أن يتمكن في النهاية من حسم الأمور لصالحه واستتباب الحكم له³.

ب- المخزن السلطاني:

المخزن يجمع بين بُعدين مترابطين فهو من جهة مؤسسة تُمارس من خلالها السلطة، ومن جهة أخرى هو نظام سياسي واجتماعي يُشكّل سمة خاصة بالمغرب⁴، يرجع أصل مصطلح "المخزن" إلى

¹ عبد اللطيف أكنوش، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، إفريقيا الشرق، ب ط، الدار البيضاء المغرب، د.ت.ن، ص114.

² نفسه، ص ص115 - 116.

³ نفسه، ص ص112 - 113.

⁴ أدهم صولي وآخرون، الدولة العربية المعاصرة بحوث نظرية ودراسات حالة، تح. محمد حمشي ومراد ديباني، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ط1، بيروت لبنان، 2023م، ص253.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

الفعل "حَزَنَ" بمعنى "جمع" وكان يُقصد به في البداية المكان الذي تُودع فيه الضرائب الشرعية المخصصة لبيت مال المسلمين، غير أن مدلوله توسع لاحقاً ليشير إلى جهاز الدولة المغربية بكل مكوناته بما في ذلك السلطان والجيش والإدارة وكافة الأشخاص الذين يربطون بين السلطة المركزية والمجتمع، وبصيغة أدق يشمل المصطلح كل من يتقاضى راتباً من خزينة السلطان ويؤدي دوراً في دعم شرعية المخزن مقابل نيل صفة الانتماء إليه¹.

ت- البنية المركزية للمخزن السلطاني المغربي:

أن التراتب داخل المخزن كان يرتبط بشكل وثيق بالمكانة الاجتماعية للفرد سواء أكانت مكتسبة أو موروثية، فمثلاً من امتلك ناصية الأدب من شعر وخطابة كان مؤهلاً لتولي مهام الكاتب وهو منصب قد يفضي إلى الوزارة، بينما من تخصص في علوم الشريعة، فقد يعين في مناصب دينية كالقضاء أو الإفتاء، أما من كان من أفراد الجيش أو العائلة الملكية أو منتصباً إلى قبيلة ذات نفوذ، فكان مرشحاً لتولي مناصب تنفيذية مثل الحاجب أو خليفة السلطان أو عامل أو باشا أو قائد منطقة، وأما بالنسبة للحرفيين والتجار فكانوا غالباً يُعيّنون في مناصب كـ"الأمين" أو "المحتسب" من الناحية الهيكلية، وقد تميز المخزن المركزي بنوعين من البنى الأولى تُعرف بـ"أصحاب الخنجر"، والثانية بـ"أصحاب الشكارة"².

"أصحاب الخنجر" فيشملون الحاجب وقائد المشور، وكان الحاجب سواء في عهد السعديين أو العلويين يُعد من أهم شخصيات الدولة بعد السلطان بما أنه كان حلقة الوصل بينه وبين الكتاب والوزراء ويحظى بثقة تامة من طرفه، أما قائد المشور، فقد كان مسؤولاً عن الأمن داخل القصر السلطاني، بالإضافة إلى تنظيم العلاقات بين الحاجب وعموم الوافدين على "دار السلطان"، وفي المقابل كان "أصحاب الشكارة" يمثلون الوزراء الخاضعين مباشرة لسلطة السلطان وتتمثل مهامهم في إعداد وتنفيذ القرارات السلطانية ومراقبة تنفيذها في مختلف الجهات، كما يمكنهم بتفويض سلطاني أن

¹ عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص 118 - 119.

² نفسه، ص 121.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

يباشروا بعض المهام الخاصة تحت إشرافه، فالسلطان باعتباره الخليفة كان يُعدّ المصدر الأعلى للسلطة في الدولة¹.

وقد تفرعت السلطة إلى عدة أقسام أبرزها: الصدر الأعظم²، وزير البحر³، وزير الشكايات⁴، الغلاف⁵، أمين الأمناء⁶.

2. التنظيم العسكري في الدولة العلوية: بين البنية القبلية والإنكشارية:

اعتمد التنظيم العسكري في الدولة العلوية منذ عهد المولى محمد بن الشريف، الذي أسس أول ديوان عسكري، وواصل أخوه المولى الرشيد الاستعانة به⁷، وبعد ذلك اعتمد المولى الرشيد و المولى إسماعيل على نظامين أساسيين: القبلي التقليدي، والتنظيم الإنكشاري المستوحى من التجربة العثمانية، جامعًا بذلك بين الولاء المحلي والانضباط المركزي.

النظام القبلي: اعتمد على قبائل "الكيش" التي مُنحت أراضي معفاة من الضرائب مقابل الخدمة العسكرية، وتمركزت في مناطق استراتيجية، ومن أبرز هذه التشكيلات:

الشراكة: جيش من قبائل عرب سهل وبربر استقرّ في قشتالة وصدينة.

¹ عبد اللطيف اكنوش، المرجع السابق، ص121.

² **الصدر الأعظم:** من كبار رجال الدولة المقربين من السلطان، لكن صلاحياته السياسية محدودة ولا يتحرك إلا بإذن الحاكم، وأول من شغل هذا المنصب في عهد مولاي إسماعيل كان الفقيه اليعقوبي. ينظر: إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص366.

³ **وزير البحر:** يتولى قيادة الأسطول وإدارة العلاقات الخارجية، وكان يُعيّن في البداية أميرًا للبحر كما حصل مع ابن عائشة زمن مولاي إسماعيل. ينظر: نفسه.

⁴ **وزير الشكايات:** يعادل وزير العدل حاليًا إذ كان يتلقى شكاوى الرعية ضد الولاة ويعرضها على السلطان للفصل فيها. ينظر: نفسه.

⁵ **الغلاف:** مسؤول عن تموين الجيش وتزويده بالموثّن اللازمة. ينظر: نفسه.

⁶ **أمين الأمناء:** يشرف على التقارير المالية ويراقب عمل أمناء الجمارك بالموانئ. ينظر: نفسه.

⁷ نفسه ، ص372.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

الوداية: جيش يضم أهل سوس والمغافرة والوداية، أعاد المولى إسماعيل تنظيمه وأقامه بين فاس ومكناس مما منحه مكانة بارزة في الجيش¹.

النظام الإنكشاري: اعتمد على جنود من العبيد السود، أسسه المولى إسماعيل على ووزعهم على مراكز استراتيجية بمكناس وسلا وتادلة. عُرفوا بـ"عبيد البخاري" نسبة إلى القسم الذي أدوه على صحيح البخاري².

3. السياسة الاقتصادية:

بادر مولاي الرشيد منذ بداية سنوات الأولى لحكمه باتخاذ جملة من الإجراءات الاقتصادية المهمة من أبرزها إصدار عملة جديدة تُعرف بـ"السكة الرشيدية" سنة 1081هـ، حيث خفّض قيمتها إلى أربع وعشرين وحدة في "الموزونة" بعدما كانت تبلغ ثمانٍ وأربعين، وقد ساهم هذا الإجراء في تنشيط الحركة الاقتصادية. كما عمل على دعم التجار بمنحهم قروضًا بهدف تحفيز النشاط التجاري وإنعاش الأسواق، ورغم ما شهده عهد المولى إسماعيل من بعض الاضطرابات الاقتصادية إلا أن المغرب في زمانه عرف فترة من الازدهار الاقتصادي والتوسع العمراني لم يسبق له مثيل منذ مدة، ويرجع هذا التحسن إلى التدابير الاجتماعية والسياسية التي اعتمدها هذا السلطان والتي انعكست بشكل إيجابي على الوضع الاقتصادي للبلاد³، وهي كالتالي:

أ- السياسة الجبائية: اتبع السلاطين العلويون منذ التأسيس سياسة مالية صارمة هدفها تأمين موارد ثابتة لدعم الحكم، حيث أوصى المولى الشريف أبناءه بجمع المال لتقوية السلطة، واستمر هذا النهج مع المولى الرشيد الذي اتسمت سياسته بالشدّة في تحصيل الجباية من المسلمين وأهل الذمة دون تمييز، مستخدمًا العنف أحيانًا كما حدث مع أحد أثرياء يهود بني يزناسن، أما المولى إسماعيل فقد توسّع في الضرائب بإضافة جبايات استثنائية كـ"النأبة" و"المكس"، وترافقت هذه السياسة مع تعسف كبير أثقل كاهل السكان، وأدى إلى شكاوى العلماء والمواطنين، كما أثر سلبيًا على التجارة في مدن كتطوان وفرضت غرامات على القبائل المتمردة، بل أُجبرت على تسليم السلاح والخيول ورغم تقويتها

¹ عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص 125 - 126.

² نفسه، ص 126 - 127.

³ عبد الكبير العلوي المدغري، المرجع السابق، ص 38، 53.

الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي

للسلطة المركزية، تسببت هذه السياسة في اضطرابات وتمردات، خاصة في فاس حيث تعرض العلماء والوجهاء للتنكيل وسلب الأموال¹.

ب- الأمن والاستقرار: بذل المولى إسماعيل جهودًا كبيرة في ترسيخ الأمن والاستقرار داخل البلاد، حيث عمل على القضاء على مظاهر الفوضى وقطع الطرق التي كانت تهدد سلامة السكان وتنقلاتهم، فقد نشر قادة جيشه وأعوانه، إلى جانب القضاة والحكام، في مختلف ربوع المغرب، سواء في المدن أو القرى، مما ساعد على فرض النظام ودفع الناس إلى اللجوء إلى السلطات الشرعية لحل نزاعاتهم، وقد انعكست هذه السياسة الأمنية في تعزيز الشعور بالطمأنينة لدى المواطنين فأقبلوا من جديد على أنشطتهم الاقتصادية، وعادت الأسواق إلى حيويتها وانتعشت الحركة التجارية، وقد ذكر أحد الرهبان الأوروبيين الذين عاشوا في المغرب خلال تلك الفترة أن الطرقات والبوادي التي كانت تعج باللصوص وقطاع الطرق أصبحت آمنة بفضل حزم السلطان، حيث كان يعاقب كل منطقة تحدث فيها جريمة إما بالغرامات أو بالروح، حتى بات بالإمكان السفر عبر أراضي المملكة دون خوف في جو من الأمن والسلام²، قال الناصري نقلا عن أحمد بن مبارك السجلماسي "لم يبق بأرض المغرب سارق ولا قاطع طريق ومن ظهر عليه شيء من ذلك، وفر في القبائل قبض عليه بكل قبيلة مر عليها أو قرية ظهر فيها"³.

¹ حسين ريوش، السياسة المالية وانعكاساتها بالمغرب خلال الفترة الممتدة من حكم المولى إسماعيل إلى عهد سيدي محمد بن عبد الله، مجلة الدراسات التاريخية، ع1، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 26 مارس 2019، ص ص 159 – 165.

² عبد الكبير العلوي المدغري، المرجع السابق، ص 54.

³ أحمد بن مبارك السجلماسي، تحرير مسألة القبول على ما تقتضيه قواعد الأصول والمعقول، تح. الحبيب العيادي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء المغرب، 1999م، ص 41.

خلاصة الفصل:

شهد المغرب خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م مرحلة شديدة الاضطراب، تجلت في انحدار السلطة المركزية بعد وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي، حيث اشتد الصراع بين أبنائه على الحكم، مما أدخل البلاد في حالة من الفوضى السياسية والعسكرية. فقد تعددت محاولات الاستيلاء على العرش، وتوالى الاغتيالات والانقلابات، وهو ما أدى إلى تفكك الدولة السعدية.

وفي الجانب الاقتصادي دخل المغرب في مرحلة تدهور بعد عصر الازدهار في عهد المنصور بسبب الحروب الداخلية وتغير مسارات التجارة، إضافة إلى الكوارث الطبيعية من جفاف وأوبئة مما أدى إلى تراجع الزراعة والصناعة وارتفاع معدلات الفقر والعنف الاجتماعي، وقد طال التدهور أيضاً الحياة العلمية رغم أنها شهدت في البداية ازدهاراً كبيراً في عهد المنصور، ويرجع هذا التدهور بعد أزمة احتلال العرائش مما دفع العلماء إلى الهروب من المدن فاضمحلت الحركة العلمية، غير أن الزاوية الدلائية ظهرت كمنقذ إذ لعبت دوراً كبيراً في حفظ التراث وتعليم الطلبة، وعلى الرغم من تدميرها فيما بعد إلا أن النشاط العلمي استمر بفضل احتضان فاس للعلماء وتشجيعهم على مواصلة مهمتهم.

هذه الأوضاع مجتمعة ساهمت في تهيئة الظروف لظهور العلويين من سجل ماسة كقوة دينية وسياسية جديدة استطاعت أن تستثمر النسب الشريف والروابط القبلية والمكانة العلمية لتبدأ مسار التوحيد وإنهاء الانقسام وبالتالي التمهيد لتأسيس الدولة العلوية.

الفصل الثاني:

أهم المؤسسات والخواضر العلمية
والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم
العلوي الأول 1659م-1727م

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والحواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي الأول 1659م-1727م

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية

أولاً: الكتاتيب والمساجد والزوايا والخزائن العلمية

ثانياً: المدارس وجامع القرويين

المبحث الثاني: أهم الحواضر العلمية والعلوم

أولاً: أهم الحواضر العلمية

ثانياً: أهم العلوم النقلية والعقلية

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والحواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

تُعدّ المؤسسات العلمية والثقافية في العهد العلوي من الركائز الجوهرية التي أسهمت في ترسيخ أسس الحياة العلمية والدينية بالمغرب الأقصى، وقد تميزت هذه المرحلة بتعدد المؤسسات وتنوع أدوارها، إذ لم تقتصر على أداء وظيفة التعليم فحسب، بل تحوّلت إلى فضاءات جامعة للعلم والثقافة والتوجيه الديني، ساهمت في نشر المعرفة وتوسيع دائرة التأثير الثقافي في مختلف الأقاليم. وقد شكّلت الكتابات والمساجد والزوايا والخزائن العلمية والمدارس أهم هذه المؤسسات، حيث لعبت دورًا بارزًا في النهضة العلمية والثقافية التي عرفها المغرب خلال هذه الفترة، وعكست في بنيتها وتنظيمها مدى اهتمام المخزن العلوي بالعلم والعلماء، وسعيه لتعزيز التعليم الديني والعقلي.

وانسجامًا مع هذا الزخم المؤسسي، برزت مجموعة من الحواضر المغربية كمراكز علمية فاعلة، كان على رأسها مدينة فاس إلى جانب حواضر أخرى كسلجماسة ومراكش وتطوان وسوس وتارودانت.

وشهد تنوع في العلوم بشقيها النقلي كالفقه والحديث والتفسير والقراءات والتصوف إلى جانب علوم النوازل واللغة، والعقلي كالفلسفة والرياضيات والطب والفلك وبرز عدد من العلماء المتميزين في هذه العلوم بنوعيتها

إذا كانت المؤسسات العلمية والثقافية قد ساهمت في تثبيت القيم الدينية والعلمية، فما هو الدور الحقيقي الذي أدّته في نشر التعليم وترسيخ الهوية الثقافية المغربية؟ وكيف أسهمت في توحيد المشهد الفكري والعلمي داخل البلاد خلال العهد العلوي الأول؟

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول

أولاً: الكتاتيب والمساجد والزوايا والخزائن العلمية

1. الكتاتيب:

يُعدّ الكتاب أولى المؤسسات التعليمية في عهد الدولة العلوية¹، وقد سمي الكتاب بهذا الاسم لأنه كان يركز على تعليم القراءة والكتابة، ويمكن القول إنه كان يشبه المدرسة الابتدائية في وقتنا الحالي حيث يتعلم فيه التلميذ تلاوة القرآن الكريم ويحفظ بعضه، وكانت هذه الكتاتيب تعرف أيضاً باسم "المسايد" ومفردها "مسيد"، ويُعتقد أن الكلمة جاءت من لفظ "مسجد"²، والصغار هم من كانوا يتعلمون في هذا المكان³، فلم تكن تخلو حارة مهما كان حجمها صغيراً من كتاب يعجّ بأصوات الأطفال المنهمكين في حفظ القرآن الكريم، وقد بلغ التنافس بين الكتاتيب وأحياء المدن ذروته في جودة التحفيظ ودقة الأداء وكثرة المتخرجين الذين ختموا القرآن الكريم مرات متعددة بإتقان وتمكن⁴، ففي عهد السلطان المولى إسماعيل بن الشريف انتشرت الكتاتيب وكثرت المدارس في المدن والقرى وحتى في المداشر، حيث كان الناس يتعلمون فيها القراءة والكتابة والحساب ويحفظون القرآن الكريم وكانت العادة في تلك الفترة تكريم حفظة القرآن بطريقة خاصة إذ كان الآباء برعاية من الدولة يقدمون لأبنائهم أقراساً كهدية عندما يختمون حفظ كتاب الله، وكان الحافظ يحمل مصحفاً بيده ويركب فرساً للتجول به ويخرج معه زملائه من الكتّاب للاحتفال، كما كانت فرق أجواق الطرب ترافقهم وتطرب أسماعهم أثناء الاحتفال، وبعد ختم القرآن الكريم يواصل في طلب العلم من كان

¹ محمد العربي معريش، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1989م، ص156.

² عمار ربيع، المدرسة النحوية في المغرب الإسلامي خلال القرن السابع والثامن الهجريين، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، د.ب.ن، 2020م، ص36.

³ أحمد شلي، تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشف، ط1، بيروت لبنان، 1954م، ص25.

⁴ مصطفى بن عمر المسلوقي، الحركة العلمية في الجامع الكبير بمدينة تارودانت خلال القرنين 10 و11 الهجريين، دعوة الحق،

<https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8127>، 9:30، 2025/04/14

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

يرغب بالتوجه إلى الدراسة، وعند إكمال دراسته يخضع للامتحان، ويُختار من بين زملائه، ومن حصل على أغلبية الأصوات كان يُعين قاضياً أو مفتياً¹.

كان المغرب في عهد الدولة العلوية غنياً بالكتاتيب القرآنية التي بلغ عددها الآلاف، وقد انتشرت في مختلف المناطق سواء في السهول أو في الجبال، ففي مدينة فاس وحدها بلغ عدد الكتاتيب 135 كتاباً منها 120 مخصصة للذكور و15 للإناث، ولم تخلوا حتى القصور من كتاتيب خاصة تهتم بتحفيظ القرآن الكريم².

ومن أبرز هذه الكتاتيب ما يلي:

مكتب باب درب البلدة يقابل مسجد سييوس بيد سيدي علال بن سيد أحمد حجي.

مكتب بشرقي الجامع يتصل بفندق سيدي عبد المجيد بيد سيدي التاودي بن العربي.

مكتب بحومة الأندلس قرب جامع الميزاب بيد سيدي الحسن الفيلاي³.

وإذا كانت مدينة فاس وحدها تضم ذلك العدد الكبير من الكتاتيب الذي تم ذكره سابقاً، فإن مدينة مكناس بدورها كانت تزخر بعدد وافر من هذه الكتاتيب، بل إن ما قيل عن انتشار الكتاتيب في فاس ينطبق كذلك على سائر المدن المغربية الأخرى⁴، وإن الاهتمام بالكتاتيب القرآنية في المغرب خلال تلك الفترة كان السبب الرئيسي في حفظ المغاربة القرآن الكريم، وعلى ما يتصل به من سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم⁵.

2. المساجد:

¹ الرحالي الفاروقي، الدولة العلوية والقرآن الكريم، دعوة الحق، ع106، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مراكش المغرب، 1968م، صص 27 – 28.

² محمد العربي معريش، المرجع السابق، ص157.

³ بوركة السعيد، المرجع السابق، ص238.

⁴ نفسه، ص239.

⁵ نفسه، ص240.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

حرصت الدولة العلوية منذ أن ثبتت أقدامها في الحكم بالمغرب على العناية بالمساجد نظراً لعلاقتها القوية بها¹، فكان لها دور تعليمي يختلف حسب طبيعة الحلقات التي كانت تُقام فيها، فمنها حلقات شعبية تهتم بنشر الوعي الديني والفكري بين الناس، وكان أغلب الحاضرين فيها من الحرفيين يستمعون لدروس السيرة النبوية والمواعظ ودروس الحديث والتفسير، كما كانت هناك حلقات مخصصة لشرح بعض المتون التعليمية لفائدة التلاميذ المبتدئين، خاصة في مجالات النحو والفقه وغيرها، بالإضافة إلى ذلك كانت تقام حلقات تقدم فيها دروس معمقة يتابعها الطلاب الأكثر نضجاً وتكويناً²، وكانت مساجد فاس تضم أربعة من أعظم وأجمل المساجد وهي مسجد القرويين ومسجد الأندلس ومسجد الرصيف ومسجد باب الجيسة، فقد جعلها الله عامرة بذكره ويعد مسجد القرويين أكبرها وأشهرها، بل لا يُعرف مسجد في سائر بلاد المغرب الأقصى يفوقه في الحجم أو الجمال أو النظافة أو كثرة حلقات العلم، وهو مسجد فخم وله عدة أبواب³، ومن بين الكراسي العلمية⁴ التي ظلت تواصل نشاطها داخل جامع القرويين خلال فترة حكم المولى إسماعيل⁷ كراسي ومن أبرزها:

- كرسي المحراب.

- كرسي ظهر الصومعة.

¹ عدنان مهندس، المسجد التفاعلي في المغرب خلال العهد العلوي وما قبله، الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، ع10، جامعة زيان عاشور الجلفة، مارس 2020م، ص61.

² إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، دار الرشاد الحديثة، ط2، ج3، الدار البيضاء المغرب، 1994م، صص 11 - 12.

³ الحسن بن الطيب بن اليماني، التنبيه المغرب بما عليه الآن حال المغرب، تق وتوص. محمد المنوني، دار نشر المعرفة، الرباط المغرب، 1994م، ص124.

⁴ الكراسي العلمية: الكراسي العلمية تُعدّ مناصب مخصصة للتدريس، حيث يُعهد لصاحب الكرسي بتعليم علوم وكتب محددة، ويُخصّص له راتب يُصرف من ربح أوقاف محبسة على تلك الكراسي وقد استوحى المغاربة هذا التقليد من المشرق الإسلامي، بعدما شهدوا خلال رحلاتهم للحج وطلب الرواية مجالس السماع، حيث كان الشيوخ يدرّسون جالساً على كراسي مفروشة بالبسط، تحيط بهم حلقة من الطلبة وبعد اعتماد هذا النظام في جامع القرويين، انتشر لاحقاً في جوامع فاس، ومنها إلى باقي مدن المغرب. ينظر: الزبير مهداد، معجم الألفاظ والمصطلحات التربوية في التراث العربي، دار وجوه للنشر والتوزيع، ط1، الرياض السعودية، 2016م، ص177.

- كرسي النحو¹.

أما مسجد الأندلس فهو يقارب جامع القرويين في ضخامته ومكانته، وهو مسجد عظيم ومبارك يتميز بجماله ورونقه وحسن مظهره، وقد توفرت فيه المياه وانتشرت فيه السكينة والراحة مما جعله دائم البهجة على مر الزمن، وكان يحظى بحزمة وتقدير كبيرين من الناس الذين اعتادوا زيارته طلباً للبركة. أما مئذنته فقد كانت مشابهة لمئذنة القرويين من حيث طريقة بنائها التي كانت مفضلة في ذلك العصر، كما كان يوجد فيه مكان مخصص لعلماء التوقيت، إلا أن هذه المهمة أصبحت فيما بعد مرتبطة بجامع القرويين وحده²، ويُعد جامع الأندلس بفاس ثاني أهم مركز علمي بعد جامع القرويين، حيث كان يضم عدة كراسي علمية، ومن بينها:

- كرسي التغيير.

- كرسي باب مصرية الخطيب كان موقعه فوق ظهر المستودع.

- كرسي باب المحراب الذي كان مخصصاً لقراءة كتاب الترغيب والترهيب للإمام المنذري³.

أما جامع الشرفاء فكان يضم أربعة كراسي علمية، وهي: كرسي القبة، وكرسي جهة يمين القبة، وكرسي جهة يسار القبة، بالإضافة إلى كرسي القبلة. ويعد كرسي القبة أهم هذه الكراسي لكونه يقع عند مدخل المشهد الإدريسي، وكانت تُدرّس فيه مواد التفسير والحديث والنحو والفقه⁴.

وبالنسبة لباقي المساجد غير القرويين والأندلس والشرفاء، فكان مسجد ابن صكوم يضم كرسيًا علميًا ضمن كراسي حومة سيدي العواد، كما كان في مسجد سيدي موسى كرسي خاص بتدريس الرسالة وفي مسجد الأبارين وُجد كرسي علمي كانت تُلقى فيه دروس في التغيير والحديث، أما مسجد قميمة المعروف بجامع الزليج فقد احتوى على كرسي علمي يدرّس فيه تفسير الثعلبي وصحيح البخاري، وكان بمسجد اللزاز كرسي علمي أيضًا، وقد وقف عليه المولى إسماعيل بنفسه، أما مسجد

¹ بوركة السعيد، المرجع السابق، ص 215 – 216.

² الحسن بن الطيب بن اليماني، المرجع السابق، ص 127.

³ بوركة السعيد، المرجع السابق، ص 224 – 225.

⁴ نفسه، ص 226.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

ابن سمعون فكان مخصصاً لقراءة ابن أبي زيد القيرواني، وقد تولى التدريس فيه سيدي محمد الشريف العراقي، وفي مسجد الشراييلين الكبير كانت تُدرّس مواد النحو والفقه والتجويد، بينما احتضن مسجد سيدي محمد ابن الفقيه كرسياً علمياً خاصاً بتدريس رسالة ابن أبي زيد القيرواني¹.

وقد بلغ عدد مساجد مدينة مكناس خلال فترة حكم المولى إسماعيل أكثر من 140 مسجداً وتنوعت هذه المساجد بين الكبيرة والصغيرة ولم تقتصر وظيفة هذه المساجد على أداء العبادات فقط بل كانت أيضاً مؤسسات ثقافية مفتوحة لعامة الناس وخاصتهم، حيث يتعلمون فيها مختلف العلوم ومن أبرز هذه المساجد في نشر العلم وتعليمه بين الناس الجامع الأعظم الذي كانت تُدرس فيه المواد العلمية إلى جانب الدروس الوقفية، وقد احتوى هذا الجامع على عدد من الكراسي العلمية نذكر منها كرسي الليل بالجامع الأعظم، وكرسي النهار بالجامع الأعظم أيضاً، وكرسي التوريق، وكرسي التفسير الخاص بالتوريق وكرسي القشيري وكرسي التفسير المخصص للتدريس، وكرسي باب القيسارية المعد للتوريق².

3. الزوايا

الزاوية هي مكان مخصص للعبادة واستقبال المحتاجين من الزوار، حيث يتم توفير المأوى والطعام لهم، وتعرف الزاوية في المشرق باسم "خانقاة" وهو مصطلح غير عربي وجمعه خانقاهات أو خانقاوات أو خوانق، وقد عُرفت الزاوية المغربية بأنها مدرسة دينية وبيت للضيافة بالمجان، مما جعلها قريبة في وظيفتها من الأديرة التي انتشرت في أوروبا خلال العصور الوسطى، ومن الجدير بالذكر أن الزوايا لم تظهر في المغرب إلا بعد القرن الخامس الهجري، وكانت تعرف في بداياتها باسم "دار الكرامة"³.

الزاوية هي عبارة عن مجموعة من المباني تتوسطها ساحة تحتوي على نافورة أو بركة ماء، وتضم غرماً لإقامة الطلبة وقاعة للتدريس ومكتبة ومسجد ومرافق ضرورية أخرى، وقد كانت مهمتها الأساسية تعليم الذكر والأوراد وتوجيه روادها توجيهاً روحياً، مع إمكانية تطور هذا التوجيه ليأخذ بُعداً سياسياً،

¹ بوركية السعيد، المرجع السابق، ص 227 – 230.

² نفسه، ص 230 – 233.

³ محمد حجي، المرجع السابق، ص 25.

يبدأ التعليم فيها عادة بين سن العاشرة والرابعة عشرة، ويرتكز البرنامج الدراسي على حفظ كتب أساسية إلى جانب حفظ القرآن في الكتاتيب ومن أبرز هذه الكتب: الآجرومية والألفية والرسالة ومختصر خليل وتعتمد مختلف الزوايا على هذه الكتب رغم تنوع طبيعتها، إذ توجد زوايا البسيطة يقتصر دورها على التعليم الديني وتحفيظ القرآن، وزوايا ذات الولي التي تميزت ببركة أصحابها وصلواتهم وتعاليمهم، والزوايا الطرقية التي تهتم بنشر تعاليم الطريقة الصوفية بين المريدين¹.

ومن أبرز الزوايا في العهد العلوي الأول:

أ- **الزاوية الناصرية:** تنسب الزاوية الناصرية إلى سيدي محمد (فتحًا) بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عمرو بن عثمان ذو الأصل الدادسي والمنحدر من إقليم درعة ومنطقة ترناتة تحديدًا، ونشأ في أغلان واستقر بتمكروت وتوفي فيها، وتقع الزاوية الناصرية في بلدة تمكروت الثانية التي أسسها سيدي عمرو بن أحمد الأنصاري سنة 983هـ².

أدت الزاوية الناصرية، الواقعة بجنوب المغرب قرب الصحراء، دورًا مهمًا في تنشيط الحياة الفكرية والأدبية خلال القرنين 11 و12هـ، وقد ساعدها في ذلك اعتمادها على التصوف السني القائم على الكتاب والسنة وفق الطريقة الشاذلية، إلى جانب اهتمامها بتطوير التعليم ونشر المعرفة³.

ومن أبرز أعلامها الشيخ محمد بن ناصر الدرعي، الذي تولى قيادة الزاوية بعد مقتل شيخه أحمد الأنصاري فنُسبت إليه، عُرف بسعة علمه وإتقانه لعدة علوم منها الفقه واللغة والتفسير والحديث والتاريخ والتصوف، حتى وصفه معاصروه بأنه "لا نظير له في عصره"، وكان يحفظ التسهيل لابن مالك عن ظهر قلب ويُدرّسه ببراعة، عُرف بقدرته على تبسيط العلوم وتقريبها للمتعلمين، وقد شهد له بذلك كبار العلماء، وعلى رأسهم الإمام أبو علي اليوسي، الذي قال إنه كان مشاركًا في فنون

¹ محمد العربي معريش، المرجع السابق، ص 158 – 159.

² عثمان عبد الصادق، **جهود الزاوية الناصرية**، مجلة دار الحديث الحسنية، ع11، المغرب، 1993م، ص 287 – 288.

³ ظاهرة الشروح الأدبية بالمغرب في العصر العلوي الأول بين جهود الإحياء الثقافي والتأصيل المعرفي، د.د.ن، ب ط، المغرب، 2015م، ص 59.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

عديدة من العلم، وكان لا يُخلّ بالعلم الظاهر رغم التزامه بالتصوف، وقد قرأ عليه عدة كتب في مختلف العلوم¹.

وقد زكى هذه الشهادة أبو سالم العياشي أحد أبرز تلامذته فقال: "حضرت مجالسه في كثير من العلوم: فقها وتفسيراً ونحواً، وحديثاً وتصوّفاً، عديم النظير في اللغة العربية، ويحفظ التسهيل عن ظهر قلب"، أما الشهادة الأدق والأشمل عن نشاط ابن ناصر العلمي فقد جاءت من شقيقه أبا محمد الحسين بن ناصر 1091هـ الذي وضع فهرسة دقيقة توثق لما تلقاه عنه من علوم سواء في الحضر أو السفر، وتُبرز هذه الفهرسة مدى موسوعية الشيخ، كما تكشف عن النشاط العلمي المكثف الذي شهدته الزاوية الناصرية ومدى إشعاعها محلياً ودولياً².

وقد ذكر الحسين بن ناصر في فهرسته أنه ختم على أخيه عدة كتب مرات عديدة، منها مختصر خليل والرسالة والتسهيل وشرح ابن عقيل وكافية ابن الحاجب والخزرجية والصفري للسنوسي والقلصادي والألفية والأجرومية والإحياء للغزالي والبخاري ومسلم إلى جانب كتب في النحو والفقه والتصوف وعلوم القرآن والحديث³.

ب- الزاوية الفاسية: أسّس الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي، الذي عاش بين سنتي 937هـ/1530م و1013هـ/1604م، أول زاوية له بمدينة فاس، قبل أن يُنشئ أخرى بمدينة تطوان، ومع مرور الوقت، تطوّرت زاوية فاس وانقسمت إلى ثلاث زوايا مستقلة داخل المدينة نفسها، كما انبثقت عنها عدة فروع مثل الزاوية الوفاية، والخصاصية، والزاوية الدرقاوية بفروعها المختلفة⁴.

برزت الزاوية الفاسية في فاس خصوصاً في عهد شيخها سيدي عبد القادر الفاسي كمركز علمي وروحي نشيط حيث كان يمارس فيها تدريس علوم دينية وصوفية متنوعة وقد عُرف الشيخ عبد القادر الفاسي بغزارة علمه ومكانته الروحية، كما وصفه حفيده العلامة الطيب بن محمد بأنه إمام جامع

¹ بوشقي السكيوي، المرجع السابق، ص 60.

² نفسه، ص 60.

³ نفسه، ص 61.

⁴ محمد إدريس الطيب، الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء الجامع بين الشريعة والحقيقة، دار كتاب ناشرون، ب ط، بيروت لبنان، 2019م، ص 285.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

للعلوم، وفريد زمانه في مجالات الفقه والحديث والتفسير والعقيدة والمنطق وأدب والتصوف كما كان داعيًا قويًا إلى السنة ومحاربًا للبدعة¹.

فإن الزاوية شهدت في عهده رواجًا علميًا كبيرًا وبلغت ذروتها من حيث الإشعاع الديني والتربوي خصوصًا مع توافد الطلبة والعلماء من مختلف الجهات للاستفادة من علمه وبركته، وقد تميز عبد القادر الفاسي بمنهج تدريسي سهل وواضح، مما جعله محبوبًا عند العامة والخاصة، وكان له تلامذة كثر في المغرب وإفريقيا، حتى قيل: "قلما تجد عالما أو متعلما بإفريقيا والمغرب إلا من تلامذته أو من تلامذتهم، أو يروم التمسك في الانتساب إليه بأي وجه أمكنه"²، وقد استمرت الزاوية على هذا النهج في عهد ولديه العالمين سيدي عبد الرحمن وسيدي محمد مما ساهم في استمرار دورها الثقافي³.

وتفيد كتب التراجم بأن شيوخ الزاوية وفي مقدمتهم عبد القادر الفاسي أولوا اهتمامًا كبيرًا للعلوم الشرعية كالقرآن والتفسير والحديث والفقه والعقيدة، وقد أعاد الفاسي الاعتبار لعلم الحديث بعد أن كاد يندثر في فاس، فأحياه بتدريسه حتى أصبح من المجددين فيه، كما اهتم علماء الزاوية بعلم الكلام والعقائد مستندين في ذلك إلى مؤلفات السنوسي والغزالي وغيرها من أعلام التصوف واعتبروا أن التصوف امتدادًا للفقه، كما عبّر عن ذلك ابن جزي الكلبي، بقوله: "التصوف ينخرط في سلك الفقه، لأنه في الحقيقة فقه الباطن، كما أن الفقه أحكام الظاهر"⁴.

وقد تجلت هذه الروح الصوفية في تمسكهم بالطريقة الشاذلية وأصولها الخمسة: تقوى الله، اتباع السنة، الإعراض عن الخلق، الرضا بالقليل، والرجوع إلى الله. واعتمدوا على كتب كبار أعلام التصوف المغاربي كـ"دلائل الخيرات"، و"القواعد الزروقية"، و"الصلاة المشيشية"، إضافة إلى "الحزب الكبير"، ومؤلفات الغزالي و"حلية الأولياء" لأبي نعيم، وكان لهذه الكتب حضور بارز في البرنامج العلمي للزاوية وجامع القرويين، إلى جانب كتب الفقه كـ"مختصر ابن الحاجب"، و"مختصر خليل"، و"جمع الجوامع". وقد انعكس هذا التوجه النقلي في مؤلفات علماء فاس، التي غلب عليها الطابع الصوفي

¹ بوشتي السكيوي، المرجع السابق، ص 80.

² نفسه، ص 81.

³ نفسه، ص 82.

⁴ نفسه، ص 82.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

والفقهية ومناقب الصالحين، وركزت على الرواية وسلاسل الإسناد، إذ اعتُبر الإسناد أساسًا في الدين، لكن هذا التوجه، رغم قوته، أدى إلى نوع من الجمود والرتابة، وقُلص من مساحة الإبداع والتجديد العلمي داخل الزاوية¹.

ج- الزاوية الدلائية:

يُطلق اسم "الدلاء" على المنطقة التي أقام فيها المجاطيون زاويتهم، وهي تقع بالجنوب الغربي للأطلس المتوسط، وتشرف على سهول تادلا، ويرجع أصل الدلائيين إلى قبيلة مجاط وهي واحدة من بطون صنهاجة التي تُعد بدورها من القبائل البربرية المنتمية إلى فرع البرانس، وهو أحد الفروع الرئيسية الذي تندرج تحته معظم أنساب البربر إلى جانب فرع البتر، أما عن تاريخ تأسيس الزاوية الدلائية فإنه غير محدد بدقة غير أن أغلب المؤرخين يرجحون أن نشأتها تعود إلى الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري أي حوالي سنة 974هـ/1566م، وقد أسسها أبو بكر بن محمد بن سعيد الدلائي استجابةً لإشارة من شيخه أبي عمر القسطلي².

وقد عانى المؤرخون من صعوبات في تحديد الموضع الدقيق للزاوية، وذلك نتيجة الخراب الذي طالها واندثار معالمها، ما جعل إشارات المؤرخين حول موقعها عامة وملتبسة، إذ اكتفوا بالقول إنها تبعد بثلاث مراحل عن مدينة فاس، وتقع بين بجانة ومسكورة وتادلا³.

اتفق معظم الباحثين في تاريخ المغرب الأقصى، خصوصًا خلال القرن الحادي عشر الهجري، على أن الزاوية الدلائية أدت دورًا محوريًا في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، إذ برزت كقوة سياسية بقيادة سيدي محمد الحاج بن أبي بكر الدلائي، فبسطت نفوذها على مناطق واسعة، ونجحت في القضاء على الفتن وإرساء الأمن⁴.

¹ بوشتي السكيوي، المرجع السابق، ص 83 – 84.

² محمد حجي، المرجع السابق، ص 26 – 30.

³ نفسه، ص 34.

⁴ بوشتي السكيوي، المرجع السابق، ص 91.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

كما شهدت الزاوية نهضة علمية كبرى ساهم فيها علماء من داخلها، كأبناء الشيخ محمد بن أبي بكر، ومن خارجه كالعربي الفاسي، وأحمد بن القاضي، وأبو علي اليوسي، حيث نشطت فيها علوم الفقه، الحديث، التفسير، اللغة، والأدب. ورافق ذلك توسع عمراني كبير، تمثل في إنشاء المدارس، وتوفير المساكن للطلبة، حيث بلغ عددها في المدرسة المجاورة لجامع الخطبة نحو 1400 مسكن. واحتضنت الزاوية خزانة ضخمة قُدِّر عدد كتبها بعشرة آلاف مجلد، وقورنت بخزانة الحكم المستنصر بالأندلس، استمر إشعاع الزاوية العلمي والتربوي قرابة قرن رغم كثرة الفتن، واعتُبرت من أسباب حفظ العلوم من الضياع، غير أن هذا الدور انتهى بدمها على يد المولى الرشيد الذي أمر بتخريبها ونهب خزانها¹.

لكن هذه المحنة تحوّلت إلى فرصة لإحياء الحركة العلمية بفاس، إذ انتقل إليها عدد من علماء الدلاء، وعلى رأسهم أبو علي اليوسي، الذي استقبل بحفاوة وازدحمت مجالسه بالطلبة، وساهم هؤلاء العلماء في إعادة تنظيم الحلقات العلمية، وازدهرت بفضلهم العلوم النقلية والعقلية، كما نشطوا الدراسات الأدبية واللغوية، وهو مجال تفوق فيه علماء الدلاء، خاصة محمد المرابط، مقارنة بعلماء فاس الذين ركّزوا على العلوم الشرعية².

4. الخزائن العلمية:

لم يكن القدماء يستعملون كلمة "مكتبة" للدلالة على المكان الذي تُجمع فيه الكتب، رغم أن الكلمة تعود لأصل سامي قديم وبدلاً من ذلك استخدموا تسميات مختلفة مثل: دار الكتب وبيت الكتب، خزانة الكتب، ودار الحكمة، وبيت الحكمة، وخزانة الحكمة، ودار العلم، وعند الرجوع إلى كتب التاريخ والحضارة في المغرب نلاحظ أن مصطلح "الخزانة" كان هو الأكثر تداولاً ولا يزال

¹ بوشقي السكيوي، المرجع السابق، ص 92.

² نفسه، ص 93.

يُستعمل إلى يومنا هذا للدلالة على الأماكن التي تحفظ فيها الكتب بمختلف أنواعها، وفي المقابل فإن كلمة "مكتبة" تُطلق غالبًا على المحلات أو الأكشاك التي تُعنى ببيع الكتب وشرائها¹.

ومن خلال تتبع تطور هذه المؤسسة العلمية في المغرب نجد أنها تنقسم عمومًا إلى ثلاثة أنواع رئيسية: الخزانة الملكية، والخزائن الخاصة، والخزائن العامة، وقد أدت كل هذه الأنواع دورًا مهمًا في نشر الثقافة وصون التراث المخطوط المغربي عبر العصور².

أ - خزانة الكتب الملكية:

تُعد خزانة الكتب الملكية من بين الخزانات الشخصية التي أنشأها أحد الخلفاء أو الملوك، لكنها تختلف عن الخزانات الخاصة من حيث القيمة والمحتوى، فهي غالبًا تحتوي على كتب نادرة وقيمة مما يجعلها متميزة عن غيرها من الخزانات الأخرى³.

فبعد الأضرار الكبيرة التي لحقت بالكتب خلال فترة السعديين حرصت الدولة العلوية بعد أن استقرت أوضاعها على إحياء الاهتمام بالكتب والمخطوطات من جديد، فتم إنشاء الخزانة السلطانية العلوية حيث جُمعت فيها ما تبقى من خزائن السعديين وبعض مكاتب الإمارات التي زالت، وقد تم ذلك في عهد السلطان الرشيد بن الشريف الذي خصص لهذه الكتب مكانًا داخل القصر الملكي بفاس الجديد⁴، ومع وفاة مولاي رشيد نُقلت الخزانة إلى مدينة مكناس⁵ داخل قصر مولاي إسماعيل، وكانت خزانة متميزة جدًا حتى أن بعض المصادر ذكرت أنها ضمت كتبًا ومصنفات تجاوزت في قيمتها ومحتواها العديد من خزائن العالم الإسلامي بما في ذلك خزانة بغداد المشهورة، وقد كلف بالإشراف عليها واحدًا من كبار علماء عصره وهو الفقيه والأديب أحمد بن الحسن اليعمدي الذي

¹ عبد الحميد احساين وميلود أحمن وآخرون، معلمة المغرب، مطابع سلا، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ب ط، مج21، الرباط المغرب، دجنبر 2005م، ص ص7238 – 7239.

² عبد الحميد احساين، المرجع السابق، ص ص7238 – 7239.

³ أحمد شوقي بنين، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، تر. مصطفى طوي، الخزانة الحسنية، ط1، المغرب، 2003م، ص49.

⁴ الصديق بن محمد بن قاسم بوعلام، علماء الملوك والأمراء عبر التاريخ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 2024م، ص312.

⁵ أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص95.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

كان أيضًا من كبار وزرائه كان مقرها قبالة جامع الأنوار الكائن عند مدخل القصبة الإسماعيلية، وكانت تعرف بـ "دويرة الكتب"، وهي دار تضم قاعتين واسعتين يفصل بينهما فناء رحب، يغطيه سقف يتوسطه قبة مستندة إلى أربع أعمدة رخامية، وقد احتوت هذه الخزانة الإسماعيلية على نواذر الكتب ونفائس الدواوين وذكر عدد من المؤرخين أن هذه الخزانة كانت تضم نحو عشرة آلاف كتاب في مختلف العلوم وكانت موقوفة لفائدة العامة والخاصة على حد سواء¹.

ب- خزائن الكتب الخاصة:

شهد المغرب ابتداءً من القرن الرابع عشر الميلادي بروز نخبة من كبار العلماء والمفكرين الذين تركوا آثارًا بارزة في مسار الفكر طيلة قرون متتالية، وقد بلغ المجتمع المغربي في تلك الفترة مستوى من الوعي الثقافي والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي مكنه من اقتناء الكتب وتأسيس خزائن خاصة به²، وكانت خزانات الكتب الخاصة تحظى بعناية خاصة خلال فترات ازدهار المكتبات المغربية، حيث كان أصحابها يخصصون لها موضعًا معينًا داخل منازلهم، وتميزت هذه الخزائن بتنوع محتوياتها إذ جمعت بين كتب الأدب وأصول الدين واحتوت على مؤلفات في الفلسفة إلى جانب كتب المناقب، كما ضمت مؤلفات التصوف إلى جانب الكتب العلمية، وقد عكس هذا التنوع مدى الاهتمام الذي أولاه أصحاب هذه المكتبات لمختلف العلوم المتداولة في المغرب في تلك الفترة، وقد امتازت هذه الخزانات بميزتين أساسيتين أولهما فتح أبوابها أمام الأدباء والكتاب، وثانيهما تيسير عملية إعارة الكتب للقراء³، ولم يكن الملوك وحدهم من اهتموا بجمع الكتب وإنشاء خزائن خاصة، بل تُظهر مصادر التاريخ والحضارة أن الأمراء والوزراء وحتى القضاة والعلماء وبعض النساء العالمات أيضًا كانت لهن مكتباتهم الخاصة⁴، فكان من الضروري للوزير حتى يحافظ على مكانته العالية أن يكون صاحب خزانة كتب مهمة، ومما يُروى أن اليعقوبي قبل أن يُعينه السلطان مولاي إسماعيل وزيرًا كان يملك خزانة كتب خاصة مذهلة وقد كان بعض الوزراء ممن لهم علم واسع يشجعون الكتاب والعلماء على تأليف كتب

¹ الصديق بن محمد بن قاسم بوعلام، المرجع السابق، ص318.

² أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص106.

³ نفسه، ص112.

⁴ عبد الحميد احساين، المرجع السابق، ص7239.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

في المواضيع التي يرغبون فيها تمامًا، كما كان يفعل الملوك، أما المكتبات التي أسسها العلماء والوجهاء فهي كثيرة ولا يمكن حصرها، فمنذ القرن الرابع عشر الميلادي نادرًا ما نجد مثقفًا لا يملك خزانة كتب خاصة به، وابتداءً من القرن العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي بدأت هذه المكتبات تزدهر بشكل واضح في منطقة سوس جنوب المغرب¹.

ج - خزائن العامة: يمكن تصنيف خزائن الكتب العامة إلى ثلاثة أنواع رئيسية: خزائن المساجد وخزائن المدارس وخزائن الزوايا:

- خزائن المساجد:

في مدينة فاس التي تُعد العاصمة العلمية للمملكة تم تعزيز خزائن مهمة داخل عدد من المساجد الكبرى فيها، ومن أبرزها خزانة مسجد "فاس الجديد"، التي أسسها السلطان العلوي مولاي رشيد سنة 1079هـ/ 1668م، وزوّدها بمخطوطات ثمينة كُتبت أغلبها بخطوط أندلسية ومغربية، كما قام السلطان مولاي إسماعيل بتشيد مسجد "لالا العودة" في مدينة مكناس سنة 1090هـ، وبنى داخله غرفة مجهزة برفوف حائطية حُصصت لاستعمالها كخزانة كتب، وقد عُرفت هذه الخزانة بكونها من أغنى خزائن المدينة العتيقة على مدى فترة طويلة².

- خزائن المدارس:

إن العملية التعليمية لا تكتمل إلا بوجود مكتبة ملحقة بالمؤسسة التعليمية، وهو ما جعل معظم المدارس التي أُسست حديثًا تُرفق بخزانات للكتب، وقد تشكّلت مجموعات هذه الخزائن من مصادر متعددة من أبرزها الاقتناءات الفردية والهبات والأوقاف، ومن بين الوسائل التي ساهمت في إثراء خزائن الكتب العلوية الإهداءات التي تلقّاها ملوك الدولة، كما اهتموا أيضًا بجمع الكتب من مصادر مختلفة وحرصوا على أن تصل إلى المدارس والزوايا العلمية، ويُذكر أن السلطان مولاي رشيد العلوي قد أهدى مجموعة من الكتب إلى بعض المدارس العريقة أمثال مدرسة ابن يوسف في مراكش ومدرسة

¹ أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص 109 - 110.

² نفسه، ص 116، 118.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

الشراطين في فاس، وتنوّعت هذه الكتب بين المصاحف والتفاسير، وكتب الحديث، والفقه، واللغة مما يعكس العناية التي أولاها العلويون للعلم ونشره¹.

- خزائن الزوايا:

تُعد خزائن الزوايا من الركائز التي ساهمت بشكل كبير في تطور المعرفة العلمية وفي الحفاظ على التراث العربي الإسلامي داخل المغرب.

- خزانة الناصرية:

توجد خزانة كتب الزاوية الناصرية بمنطقة تمكروت الواقعة جنوب شرق المغرب، بالقرب من مدينة زاكورة. وضع أسسها الأولى الشيخ محمد بن محمد بن أبي ناصر الدرعي (توفي سنة 1085هـ)، ثم جاء ابنه أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (توفي سنة 1129هـ) ليُثري محتواها ويُطوّرها بشكل ملحوظ، اشتهر الشيخان بجمع الكتب ونسخها، كما بذلا جهودًا كبيرة لاقتنائها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي سواء من المشرق أو المغرب، ويُذكر أن الشيخ أحمد كان من أوائل من أدخلوا إلى المغرب النسخة اليونانية من صحيح البخاري. كما احتوت الخزانة على عدد كبير من المخطوطات الثمينة التي تعود لأصول مغربية وأندلسية، غير أن جزءاً كبيراً منها نُقل إلى الخزانة الوطنية بالرباط، ولم يتبقَ فيها اليوم سوى نحو 4200 مخطوطة، وقد قام العلامة الراحل محمد المنوني بإنجاز فهرس مفصل لمحتويات هذه الخزانة².

- خزانة الدلائية:

من أبرز ما تميزت به هذه الزاوية خزانتها الغنية التي ضمت ما يقارب عشرة آلاف مخطوط، مما جعلها واحدة من أكبر خزائن الكتب في تلك الفترة، وقد أثنى المؤرخون على خزانة الزاوية وشبّه بعضهم غناها العلمي بخزانة الحكم الثاني في قرطبة، وقد تكونت هذه الخزانة من كتب اقتُنيت بالشراء

¹ نفسه، ص 130 – 131.

² محمد سعيد حنشي، تاريخ خزائن الكتب في المغرب الأقصى وذكر بعض فهارسها، مجلة أفاق الثقافة والتراث، ع72، مركز جمعة الموحّد للثقافة والتراث، 1 ديسمبر 2010، ص177.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

أو وصلت عن طريق الهبات والوقفات، إضافة إلى النسخ اليدوي الذي كان يقوم به بعض أتباع الزاوية، حيث كانوا ينسخون المؤلفات المرتبطة بالمقررات التي تُدرّس في الزاوية.

وقد استفاد عدد كبير من العلماء من هذه الخزانة واستعانوا بها في تأليف كتبهم، وبعد أن قام السلطان العلوي مولاي رشيد بتفكيك الزاوية نُقل جزء كبير من خزانتها إلى الخزانة الملكية وحبس بعض كتبها على المسجد الأعظم بمكناس حسب ما ذكره عبد الحي الكتاني¹، وتم تخصيص الأجزاء الأخرى لعدد من الخزائن، من بينها خزانة مدينة بزو، التي وُجدت فيها النسخة الوحيدة المعروفة من كتاب "البرصان والعرجان والعميان والحولان" للجاحظ².

ثانيا: المدارس وجامع القرويين

1- المدارس

كانت المدرسة تُعرف في المغرب باسم الرباط³، وضعت السلطة يدها عليها فأصبحت أداة لتكوين الموظفين الإداريين، وكانت هذه المدارس من حيث هيئتها ونظامها الداخلي تُشبه الزوايا إذ تضم فناء وقبة تُستعمل كمسجد إلى جانب غرف مخصصة لإيواء الطلبة، ويتولى إدارة المدرسة شخص يُدعى "المقدم" وهو متعدد المهام، إذ يقوم بدور المدير والحارس والمراقب في الوقت ذاته، ويُعينه المخزن، كما تُوفر المدرسة إمامًا دائمًا أو طالبًا يُنتدب لأداء هذه المهمة ويُعين رسميًا لذلك⁴.

تفيدنا المصادر التاريخية بأن العهد العلوي شهد تشييد عدد معتبر من المدارس من بينها مدرسة الشراطين بمدينة فاس، التي أسسها السلطان المولى الرشيد سنة 1081هـ/1671م، وقد أُتقنت عمارتها ببذخ، وبلغت درجة عالية من الإحكام والجودة، قبل أن يُتم السلطان المولى إسماعيل بناءها سنة 1089هـ/1678م، كما أمر ببناء مدرسة ابن صالح بمدينة مراكش، بمحاذاة جامع الشيخ الصالح أبي عبد الله بن صالح إلى جانب مدارس أخرى مثل: مدرسة ابن يوسف، ومدرسة المواسين،

¹ أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص 136 – 137.

² عبد الحميد احساين، المرجع السابق، ص 7240.

³ إبراهيم البيومي غانم، تحديد الوعي بنظام الوقف الإسلامي، دار النشر الثقافة والعلوم، ط2، د.ب.ن، 2016م، ص 129.

⁴ محمد العربي معريش، المرجع السابق، ص 159.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

ومدرسة الزاوية العباسية، ومدرسة باب ذكالة، ومدرسة القصبة. وقد استقطبت هذه المؤسسات أعدادًا كبيرة من الطلبة الذين وفدوا إلى مدينة مراكش، حيث كانوا يحظون بالإقامة والإعاشة المجانية داخلها¹.

2- جامع القرويين:

يُعدّ جامع القرويين من أبرز المساجد الجامعة في بلاد المغرب وأشهرها لما يحمله من مكانة علمية رفيعة كجامعة إسلامية عريقة امتدت جذورها في عمق التاريخ، وقد نافست جامعة الأزهر في مكانتها العلمية وأسهمت في تخريج نخبة من العلماء والدعاة والفقهاء².

وترجع نشأة هذا الجامع إلى ظروف توسّع مدينة فاس في عهد الأدارسة حيث يذكر ابن أبي زرع أن الخطبة كانت تُلقى بجامع الشرفاء الذي بناه إدريس بعدوة القرويين وجامع الأشياخ بعدوة الأندلس، إلا أن تزايد عدد السكان وتوافد العرب والبربر من مختلف أنحاء المغرب والأندلس جعل هذين الجامعين غير قادرين على استيعاب أعداد المصلين مما اقتضى بناء مسجدتين جديدتين، وقد بادرت إلى ذلك امرأتان قدمتا من القيروان هما فاطمة القروية الملقبة بأُم البنين وأختها مريم ابنتا محمد الفهري، حيث قامت فاطمة ببناء جامع القرويين في حين شيدت مريم جامع الأندلسيين³.

وقد مرّ جامع القرويين بعد تأسيسه بثلاث مراحل بارزة تمثّلت أولها في سنة 254هـ / 859م، تلتها مرحلة التوسعة الأولى سنة 345هـ / 956م، ثم المرحلة الثالثة حينما زيدت مساحته في عهد علي بن يوسف سنة 530هـ / 1135م⁴.

¹ حسين ريوش، وقف الكتب وازدهار الحركة العلمية: خزانة جامعة القرويين أنموذجا، دار الأكاديميون، ب ط، عمان، 2017م، ص113.

² علي محمد الصلاحي، دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، ط3، بيروت لبنان، 2009م، ص181.

³ مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، مج23، الرياض السعودية، 1999م، ص ص19-196.

⁴ علي محمد الصلاحي، المرجع السابق، ص181.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

ولم يتوقف إشعاع جامع القرويين العلمي عند هذه المراحل بل استمر حضوره البارز في مختلف العصور لا سيما بعد قيام الدولة العلوية التي وحدت البلاد وقضت على الفتن، فمنذ تولي السلطان سيدي محمد بن المولى الشريف المعروف بمحمد الأول استمر النشاط العلمي بالقرويين، وقد أشار "مارمول" (Marmol) إلى ذلك خلال زيارته لمدينة فاس، حيث ذكر أنه تلقى دروسًا في الفلسفة والرياضيات والعلوم المختلفة في المدارس المحيطة بالجامعة وهو ما يعكس استمرار الحركة الفكرية في تلك المرحلة¹.

وتُعد ولاية كرسى التدريس بجامع القرويين من المناصب الرفيعة، ولذلك لم يكن يُعين فيها إلا بأمر صادر عن السلطان أو وليّ عهده حصراً².

اتّسم النشاط الفكري خلال هذه المرحلة بوضوح الملامح، حيث ساهم توحيد مناهج التدريس في جامع القرويين وغيرها من المؤسسات التعليمية في ترسيخ نمط موحد في طرق البحث والتأليف، وقد كان هذا الانسجام نتيجة مباشرة لتقاسم نفس المرجعيات المعرفية، إذ درج علماء المغرب على التوجه نحو المشرق الإسلامي لاستكمال تكوينهم العلمي، مما أتاح تبادل الإجازات وتلاقح الخبرات، وتُظهر الشواهد المتوفرة حول تطور الحقل العلمي غزارة التأليف وتنوعه حيث شمل الإنتاج الفكري مختلف الفروع فقد ألفت كتب فقهية كـ "الدر الثمين" لميارة، وكتب رحلات مثل "محاضرات اليوسي" و "الرحلة العياشية"، فضلاً عن كتب التراجم والمناقب، منها "الدر المرصعة" و "مرآة المحاسن" و "نشر المثاني"، إضافة إلى الأراجيز التعليمية وكتب الأدب، والشروح، والخواشي، ومؤلفات في الطب والفلك والهندسة وغيرها، مما يدل على أن التأليف قد شمل جل المواد التي كانت تُدرّس بالقرويين، ويبدو من خلال هذا التنوع والوفرة أن الفكر المغربي آنذاك كان يتسم بالغنى والتعدد، وشكّل لوحة معرفية متكاملة تعكس اهتمامات العلماء وأولوياتهم، وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من العلماء لم يقتصرُوا في تأليفهم على تخصص واحد، بل أَلَفُوا في الفقه والتاريخ والطب والتصوف والتراجم والآداب وغيرها، فقد أورد عبد الله الفاسي في كتابه "الإعلام بمن غبر" وصفاً لمحمد بن أحمد الفاسي، مشيراً إلى

¹ عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها الفكري والمعماري، دار نشر المعرفة، ط2،

مج3، الرباط المغرب، 2000م، ص716.

² بوركة السعيد، المرجع السابق، ص193.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

موسوعيته وتضلعه في شتى العلوم، حيث جمع بين المعرفة بالعلوم النقلية والعقلية، وتميز بفصاحة بيانه وغزارة حفظه، مما جعله أحد أبرز علماء فاس، كما تحدث القادري في "نشر المثاني" عن محمد المسناوي الدلائي فوصفه بإمام عصره وجامع لعلوم متعددة، مشيرًا إلى مكانته الرفيعة على مستوى التدريس والفتيا، إذ تتلمذ عليه جمهور علماء زمانه¹.

أما عبد الرحمن بن القاضي فقد أثنى عليه عبد الله الفاسي مبرزًا براعته في علم القراءات ومكانته في هذا المجال، إذ قلَّ أن تجد أستاذًا في المغرب لم يروي عنه أو عن أحد تلامذته، وقد ترك مؤلفات وأجوبة في القراءات والرسم والضبط.

وإلى جانب هذه الكفاءات كان معظم العلماء القرويين يجمعون بين القدرة على التحصيل المعرفي ومهارة التأليف، وهذا ما يشكل انسجامًا مع طبيعة البيئة العلمية في تلك الفترة، ومن بين هؤلاء نذكر أبا سالم العياشي، والحسن بن مسعود اليوسي، وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، ومحمد بن عبد القادر الفاسي².

وقد أفرد القادري في ترجمته لعبد الرحمن الفاسي مساحة واسعة للحديث عن تعدد مؤلفاته في مجالات متنوعة كعلم الحديث، والأصول، والمنطق، والسياسة والهندسة، وغيرها، مشيدًا بذاكرته القوية وتنوع معارفه، أما اليوسي فقد وصفه القادري بأنه من أعلام عصره، وقد تميز بعمق معرفته، وله مؤلفات في الحكم والأمثال والمنطق والتفسير والشعر والبلاغة وعلوم أخرى، ما يعكس موسوعيته الفريدة، وعن أبي سالم العياشي يشير عبد الله الفاسي إلى أنه كان فقيهًا وأديبًا، درس بفاس عدة علوم وترك مؤلفات عديدة، من أبرزها "ماء الموائد"، و"اقتفاء الأثر"، و"تحفة الأخلاء"، وغيرها مما يدل على انخراطه الفعّال في الحياة العلمية آنذاك³.

¹ فاطمة نافع، الحركة العلمية بالقرويين على عهد المولى إسماعيل، الرابطة الحمديّة للعلماء، 20/04/24، 20:00

² نفسه. <https://www.arrabita.ma/blog/%d8%a7%d9%84%d8%ad%d8%b1%d9%83%d8%a>

³ نفسه.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

كان نظام التعليم في جامعة القرويين تقليدياً ومحافظاً على ما هو معمول به في الجامعات الإسلامية، حيث يجلس الأستاذ ويلتف حوله الطلبة لتلقي الدرس، الذي يكون غالباً شرحاً وتحليلاً لنص معين مع مناقشة أقوال الشراح ومقارنتها، وكان الأستاذ أحياناً يخرج عن موضوع الدرس إذا كان من أهل الرسوخ في العلم، فإن هذا الخروج يُعدّ فائدة إضافية للطلبة، وكان الطالب المجتهد يطلب من أستاذه "إجازة" تُعبر عن مستواه العلمي، ولم تكن الدراسة مرتبطة بجداول زمنية بل تمتد من الفجر إلى الغروب، وأحياناً بين العشاءين وفقاً لقدرة الأستاذ واستعداد الطلبة، وقد حُصصت الفترة المسائية غالباً للوعظ والتفسير والحديث يحضرها عامة الناس، وكذلك دروس ما بعد الصبح أما العطل فكانت توافق الخميس والجمعة والمناسبات الدينية، غير أن بعض الطلبة كانوا يستثمرونها في قراءة كتب مختصرة تُختَم بسرعة¹.

ومواد الدراسة لم تكن محددة بعدد معين لكنها كانت تشمل دائماً العلوم الدينية واللغوية إذ لم ينقطع تعليمها في أي وقت، أما العلوم العقلية فكان انتشارها مرتبطاً بوجود من يتبناها ويُشجع على تدريسها سواء من أهل الاختصاص أو من المهتمين بها، وقد شهدت بعض هذه العلوم فترات انتعاش بفضل جهود أفراد تميزوا بتفرغهم التام لها².

وينقسم طلبة المؤسسة إلى قسمين: محليون وهم أبناء المدينة ويعرف عنهم حرصهم الكبير على طلب العلوم خاصة الشرعية واللغوية، والقسم الآخر هم القادمون من مدن وقرى مغربية مختلفة، بل وحتى من خارج المغرب كالجزائر والصحراء وقيمون في المدارس التابعة للقرويين، ويتلقون إعانات يومية من الأوقاف وللبعض منهم منح إضافية مقابل أعمال دينية يؤديونها في المساجد بما فيها المسجد الرئيسي، كان لهؤلاء الطلبة في السابق مكانة مميزة حيث لم تكن الجهات الرسمية تتدخل في شؤونهم، وكانوا يحتكمون في خلافاتهم إلى ممثليهم أو إلى أساتذتهم، ومن أبرز مظاهر التقدير الذي كان يحظى به الطلبة القرويين سواء من قبل المجتمع أو من قبل السلطات احتفال سنوي راسخ كان يقام في فصل الربيع³، يعرف بـ "عيد سلطان الطلبة" ويُرجع أصل الاحتفال بـ "سلطان الطلبة" إلى عهد السلطان المولى الرشيد الذي أطلق هذا التقليد كنوع من التكريم لطلبة جامعة القرويين، تقديرًا لما قدموه من

¹ عبد الله كنون، التعاشيب، دار الكتب العلمية، ب ط، بيروت لبنان، 2015م، ص 97 – 98.

² نفسه، ص 98.

³ نفسه، ص 98 – 99.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

دعم له خلال نزاعه مع أبي مشعل ثم في مواجهته لأخيه المولى محمد¹، وقد أصبح هذا الاحتفال مناسبة رمزية للاعتراف بمكانة طالب العلم وتكريم رجال المعرفة وكل من له صلة بالعلم والتعليم، واستمر هذا الحدث يُنظم بالعاصمة العلمية إلى غاية أواخر ستينات القرن الماضي².

يتم خلال هذا الاحتفال اختيار أحد الطلبة ليمثل زملاءه في منصب رمزي يُعرف بـ"سلطان الطلبة"، ولمدة أسبوع يُعامل هذا الطالب معاملة احتفالية خاصة، إذ يحاط بالحراس والمرافقين، ويُمنح مظاهر رمزية من الهيبة والتقدير، كما يكلف بتشكيل حكومة رمزية من بين زملائه ويؤدي صلاة الجمعة في أحد المساجد الكبرى بشكل رسمي بحضور جمهور واسع من سكان المدينة³.

وفي يوم الاحتفال تُغلق المتاجر أبوابها وتُقام مراسيم خاصة في مكان الاحتفال يتخللها لقاء رسمي بين ممثل الطلبة ورأس الدولة، يُرفع خلاله طلب يُقدم باسم الطلبة وعادة ما يُقابل بالقبول، وبانتهاء هذه المراسيم، يعود "سلطان الطلبة" إلى مقاعد الدراسة كأبي طالب عادي، وقد كان لهذا الاحتفال طابع مميز، إذ ينطلق من قلب الجامعة، ويحضره الطلبة والعلماء والفقهاء، ويُنظر إليه كفرصة للترفيه والترويح عن النفس بعد فترة من الانكباب على التحصيل العلمي. كما كان مناسبة تستقطب العائلات من مختلف الأحياء، لما يتسم به من أجواء احتفالية ونفحات ربيعية ممتعة⁴.

لم يقتصر اهتمام السلاطين العلويين على جامع القرويين في حد ذاته بل امتد أيضًا إلى خزانته العلمية التي شكلت جزءًا مهمًا من بنيته المعرفية⁵، وتُعد خزانة القرويين أقدم وأشهر مكتبة في المغرب، وقد اعتبرها المغاربة أول خزانة كتب في العالم، وللدلالة على غنى محتواها وثرائها المعرفي، وكان المثقفون يعبرون عن ذلك بقولهم: "الذي يدخل القرويين يسمع عمل العث وهو يقرض الكتب"⁶، فلم يكتفِ السلطان المولى الرشيد بإنشاء المدرسة الرشيدية بجوار القرويين ولا بخزانة علمية أخرى بفاس الجديد بل أولى عناية خاصة أيضًا بخزانة جامع القرويين، حيث بادر إلى تنظيمها والاهتمام بمحتوياتها، وبعد

¹ محمد أديب السلاوي، الفرجة مسرح المغاربة القدماء، الفيصل، ع155، دار الفيصل الثقافية، ديسمبر 1989م، ص102.

² الزبير مهداد، المرجع السابق، ص124.

³ نفسه، ص124.

⁴ نفسه، صص 124 – 125.

⁵ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص668.

⁶ أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص122.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

وفاته تولّى أخوه السلطان المولى إسماعيل إتمام ما بدأه أخوه، فأولى بدوره اهتماماً كبيراً بالخزانة، حيث عمل على ترتيبها ووهبها مجموعة من الكتب، وكان قد أمر الخطاطين بنسخها خصيصاً لهذا الغرض¹.

¹ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 668.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والحواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي الأول 1659م – 1727م

المبحث الثاني: أهم الحواضر العلمية والعلوم في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول

أولاً: أهم الحواضر العلمية في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول

- **مدينة فاس:** تأسست هذه المدينة بداية القرن التاسع الميلادي، وحسب قول ابن خلدون فإن إدريس الثاني¹ هو الذي أسسها². تتميز مدينة فاس بموقعها الاستراتيجي، بحيث تتوسط مدن المغرب، وتبعد عن تلمسان ومراكش وسبتة وسلماسة مدة 10 أيام³. منذ تأسيسها، كانت مدينة فاس مركزاً علمياً وثقافياً إسلامياً وعربياً بارزاً⁴، نظراً لأهميتها الدينية العريقة كونها كانت عاصمة الدولة الإدريسية⁵. وقد ساهم وجود جامع القرويين في تسريع حركة النهضة الفكرية والثقافية داخل المدينة، مما جعلها منارة للعلم والعلماء عبر العصور⁶، وقال عنها **عبد الواحد المراكشي (647هـ)** قائلاً: "ومدينة فاس هذه هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا، وموضع العلم منه، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة، إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس، كما كانت القيروان حاضرة المغرب..."⁷.

¹ ينظر: الملحق رقم: (1).

² عبد الرحيم الورديني، فاس في عهد الاستعمار الفرنسي 1912-1956، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط المغرب، 1992م، ص7.

³ عبد الرحمان بن بوزيان، محطات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة فاس منذ النشأة إلى بداية عهد الحماية، مجلة قرطاس الدراسات الفكرية والحضارية، ع01، مج08، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2021م، ص129.

⁴ روجيه لوترنو، فاس في عصر بني مرين، تر. نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ب ط، بيروت لبنان، 1967م، ص167.

⁵ حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش ظاهرة سبعة رجال، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش المغرب، 1994م، ص34.

⁶ ميلود ميسوم، أدب الرحلة في الجزائر في القرن التاسع عشر رحلة محمد بن علي السنوسي إلى فاس أنموذجاً، مجلة جسور المعرفة، ع04، مج05، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، ديسمبر 2019م، ص217.

⁷ عدنان مهنديس، المرجع السابق، ص56.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

في العهد العلوي، استعادت فاس استقرارها ومكانتها العلمية، خصوصًا بعد دخول المولى الرشيد إليها ونقل العاصمة السياسية إليها، فقد شرع المولى الرشيد في إحياء الحياة العلمية والثقافية بالمدينة، وكان من أبرز إنجازاته بناء أكبر مدرسة في ذلك العصر، وهي مدرسة الشراطين، التي تأسست في فاس عام 1670م¹.

وفي نفس الصدد قال الحسن سائح "وهكذا فإن عناية العلويين بالثقافة تركزت في إحيائها بعاصمتهم الأولى فاس، فاهتموا بالقرويين والدارسة بها اهتماما فائقا، نظرا لأن بعضهم اتخذ هذه المدينة عاصمة المملكة، ولأن جل الملوك كانوا يقرأون بها، ولاعتمادهم عليها في تكوين أطر البلاد، ونجد بفاس جامع القرويين الذي شكل منارة العصر ومقصد العلماء"².

بدون منازع، كانت مدينة فاس من أبرز المراكز العلمية التي يُدرّس فيها الفقه، علم الكلام، الحديث، التفسير، التصوف، المنطق، وعلوم اللغة كالصرف والبلاغة، إضافة إلى العلوم التجريبية مثل الجبر، الحساب، والفلك. وقد استقطبت فاس في تلك الفترة عددًا كبيرًا من طلبة العلم، بفضل توفر الوسائل المادية التي ساهمت في دعم العملية التعليمية³. ووصفها الشاعر البسكري الجزائري يوسف بن النحوي، قائلا:

يا فاس منك جميع الحسن المسترق والساكنون أنهم لقد رزقوا

أرض تتخللها الأنهار داخلها حتى المجالس والأسواق والطرق⁴.

- مدينة تافيلالت/ سلجماسة:

للمدينة موقع جغرافي استراتيجي هام، بحيث تصل بين المشرق العربي وبين مدن الشمال الإفريقي وإفريقيا جنوب الصحراء، وهذا ما منحها الدور الريادي في التجارة⁵.

¹ عبد الرحمان بن بوزيان، المرجع السابق، ص 135.

² نصيرة كلة، المرجع السابق، ص 316 – 317.

³ محمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين (1822 – 1792م)، تر. محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2006م، ص 248.

⁴ عبد الرحمان بن بوزيان، المرجع السابق، ص 129.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والحواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

وفضلاً عن ذلك اعتبرت "سلجماسة حاضرة من حواضر الثقافة الإسلامية المغربية العريقة، أنجبت الكثير من العلماء النابغين، ومن الحفظة النابغين ومن الساسة والمفكرين وما هي إلا مثال لما كان عليه الحال في النواحي المغربية الأخرى من حاضرة وبادية"¹.

وخلال إحدى زيارات المولى إسماعيل إليها أمر ببناء قصبة الإسماعيلي (القصبة السلجماسية)، بالإضافة إلى ذلك فإنه توجد حواضر أخرى في المغرب الأقصى كسوس²، وتارودانت (التي كان بها عدد كبير من الأدباء والعلماء خلال عهد المولى إسماعيل)³، ومراكش⁴ (تأسست من قبل يوسف بن تاشفين سنة 454هـ)⁵، وأيضاً تطوان⁶.

ثانياً: أهم العلوم النقلية والعقلية في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول

– العلوم النقلية: تتمثل هذه العلوم في علوم الآداب، العلوم الشرعية، القرآن، الفقه، الحديث، النوازل، التصوف، اللغة...⁷.

– أبرز علماء المغاربة في العلوم النقلية خلال العهد العلوي الأول:

1) عبد الرحمان ابن القاضي (1590 – 1672م): من أهم مؤلفاته في علم القراءات "جذوة الاقتباس" و"قصيدة في القراءات السبع للقرآن الكريم"⁸.

⁵ عبد العالي المتليني، النقل والتنقل ودوره في اندراس حاضرة سلجماسة وبرز قصر تابوعصامت خلال العصر الحديث، مجلة الإنسان والمجال، ع02، مج06، المركز الجامعي البيض، ديسمبر 2020م، ص11.

¹ عبد العالي المتليني، علماء سلجماسة – تافيلالت بين الإقامة والترحال في العصر الحديث والمعاصر: أعلام كتاب نشر المثاني وقصر تابوعصامت أممؤذجا، مجلة التراث، ع03، مج10، جامعة زيان عاشور الجلفة، 2020م، ص120.

² نصيرة كلة، المرجع السابق، ص318.

³ عبد الكبير العلوي المدغري، المرجع السابق، ص90.

⁴ البضاوية بلكمال، الوضع الطبي بالمغرب في بداية فترة الحماية من خلال "تاريخ الطب العربي بالمغرب" لمحمد بن أحمد العبدى الكاتوني (توفي 1359هـ / 1940م)، مجلة المناهل، ع89 – 90، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط المغرب، يونيو 2011م، ص306.

⁵ عبد الرحمان بن بوزيان، المرجع السابق، ص129.

⁶ محمد المنصور، المرجع السابق، ص32.

⁷ نصيرة كلة، المرجع السابق، ص319.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي الأول 1659م – 1727م

- (2) محمد بن سليمان الروداني (1627 – 1683م): من أهم مؤلفاته في علم الحديث "جمع الفوائد لجامع الأصول ومجمع الزوائد" و"الجمع بين الكتب الخمسة والموطأ" و"كتاب مختصر تلخيص المفتاح" في البلاغة¹.
- (3) عبد السلام القادري (1648–1698م): من أهم مؤلفاته "الأنيس المطرب بروض القرطاس"².
- (4) محمد المهدي الفاسي: من أهم مؤلفاته في التراجم "ممتع الأسماع في أخبار الجزولي والتابع ومن لهما من الأتباع"³.
- (5) محمد بن الطيب (ت. 1134هـ / 1721م): من أهم مؤلفاته: "الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب"⁴.
- (6) محمد الإفرائي (1669 – 1740م): من أهم مؤلفاته في علم التراجم والتاريخ "ظل الريف في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف"⁵، "درر الحجال بأثر بسبعة رجال"، "روضة التعريف بمفاخر..."، "نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي"⁶.
- (7) ابن المبارك اللمطي (1679 – 1743م): من أهم مؤلفاته: "الذهب الإبريز فب مناقب الشيخ عبد العزيز"⁷.
- (8) أحمد ابن عبد الحي الحلبي (توفي سنة 1120هـ / 1708م): من أهم مؤلفاته: "الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب إدريس بن إدريس"⁸.

⁸ محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075 – 1311هـ/ 1664 – 1894م)، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء المغرب، 1977م، صص 84 – 85.

¹ محمد الأخضر، المرجع السابق، صص 110 – 111.

² نصيرة كلة، المرجع السابق، ص326.

³ ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، تع. عبد القادر الخلافي، دار المغرب، د.ط، الرباط المغرب، 1977م، ص193.

⁴ إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، المرجع السابق، ص185.

⁵ نصيرة كلة، المرجع السابق، ص328.

⁶ ليفي بروفنصال، المرجع السابق، ص90.

⁷ نصيرة كلة، المرجع السابق، ص329.

⁸ إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، المرجع السابق، ص187.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والخواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي الأول 1659م – 1727م

- (9) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي: من أهم مؤلفاته في التاريخ السياسي "الإعلام بمن عبر أهل القرن الحادي عشر"¹.
- العلوم العقلية: تتمثل هذه العلوم في الرياضيات، الفلسفة، الطب، الفلك...².
- أبرز علماء المغاربة في العلوم العقلية خلال العهد العلوي:
- (1) محمد بن سليمان الروداني (1627 – 1683م): من أهم مؤلفاته: "بجعة الطلاب في الاسطرلاب" و"منظومة في علم الميقات وشرحها"³.
- (2) عبد الوهاب بن أحمد أدراق (توفي سنة 1159هـ / 1746م): من أهم مؤلفاته في الطب "تذليل على أرجوزة ابن سينا في الطب" وكتاب "التعليق على النزهة"⁴.
- (3) أبو محمد عبد القادر بن العربي (المعروف بابن شقرون المكناسي): ومن أهم مؤلفاته في الطب "النفحة الوردية في العشبة الهندية" و"الشقرونية"⁵.
- (4) أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي: من أهم مؤلفاته الطبية "الأقنوم" (أكثر من 300 فن طبي)⁶.
- (5) محمد ابن زاكور (توفي سنة 1120هـ / 1708م): ومن أهم مؤلفاته في الطب "الدرة المكنوزة في تذليل الأرجوزة"⁷.
- (6) محمد ابن زكري (توفي سنة 1144هـ / 1731م): من أهم مؤلفاته في الفلك "المراصد"⁸.

¹ إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، المرجع السابق، ص 191 – 192.

² نصيرة كلة، المرجع السابق، ص 319.

³ إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، المرجع السابق، ص 280.

⁴ عبد الصمد العشاب، مساهمة علماء المغرب في ميدان الطب والتطبيب، مجلة التاريخ العربي، د.ع، مج 1، جمعية المؤرخين المغاربة، المغرب، د.ت.ن، ص 15989.

⁵ عبد الصمد العشاب، المرجع السابق، ص 15990 – 15993.

⁶ نصيرة كلة، المرجع السابق، ص 324.

⁷ محمد الأخضر، المرجع السابق، ص 163.

⁸ نفسه، ص 218.

الفصل الثاني: أهم المؤسسات والحواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي

الأول 1659م – 1727م

خلاصة الفصل:

عرف المغرب خلال العهد العلوي الأول ازدهاراً ثقافياً وتعليمياً بفضل تنوع المؤسسات التي أسستها الدولة وساهمت في ترسيخ القيم الدينية والعلمية. فقد شكّلت الكتاتيب القاعدة الأولى لنشر التعليم، حيث اعتمدت لتحفيظ القرآن وتعليم أساسيات اللغة، وانتشرت في الحواضر والقرى، وتكامل هذا الدور مع المساجد التي تحولت إلى مراكز علمية، خصوصاً في فاس ومكناس، حيث احتل جامع القرويين والأندلس مكانة محورية. كما برزت الزوايا كمؤسسات دينية واجتماعية جمعت بين التربية الروحية والتعليم، مثل الزاوية الناصرية، والفاسية، والدلائية. ورافقتها خزائن علمية مثل الخزائن الملكية والخاصة والعامة، التي احتوت على آلاف الكتب والمخطوطات. أما المدارس، فقد ساهمت في إعداد النخب، وكان جامع القرويين في صدارة المشهد العلمي بفضل دعم الدولة العلوية له. وهكذا ساهم التنوع والتكامل بين هذه المؤسسات في تعزيز الوحدة الفكرية والثقافية، وجعل من العهد العلوي الأول مرحلة مفصلية في التاريخ العلمي المغربي.

وتجلى هذا الإشعاع في عدد من الحواضر الكبرى، مثل فاس التي احتضنت القرويين ومدرسة الشراطين وسجلماصة وسوس وتارودانت ومراكش وتطوان، التي شهدت حركية علمية نشطة خاصة في عهد مولاي إسماعيل، وتميزت الحياة الفكرية بغنى العلوم النقلية كالفقه والحديث التفسير والنوازل والتصوف واللغة، وبرز فيها أعلام مثل عبد الرحمان بن القاضي والروداني والمهدي الفاسي والافراني وابن المبارك اللمطي، كما شمل النشاط العلمي العلوم العقلية من رياضيات وطب وفلك وفلسفة وبرز فيها الروداني وأبو زيد الفاسي وابن شقرون ومحمد بن زاكور ومحمد بن زكري ما يبرز انفتاح العهد العلوي على مختلف مجالات المعرفة ورعاية العلماء.

الفصل الثالث:

دور العلماء العلويين في الحياة
السياسية والاجتماعية وصلاتهم
العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة
الحكم العلوي الأول

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

المبحث الأول: دور العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية خلال فترة الحكم العلوي الأول

أولاً: علاقة العلماء بالسلطين

ثانياً: تأثير العلماء في رسم سياسية الحكم العلوي الأول

المبحث الثاني: الرحلات العلمية للعلماء العلويين وعلاقتهم بأقطار العالم الإسلامي

أولاً: الرحلات العلمية للعلماء العلويين وعلاقتهم بتطور العلوم

ثانياً: تأثير العلماء المغاربة العلويين في العالم الإسلامي

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

عرف المغرب الأقصى خلال العهد العلوي تحولات كبرى، مست كل جوانب الحياة، خاصة الجانب الفكري والثقافي والعلمي، بحيث انفرد المغرب الأقصى بطابع فريد من نوعه، من خلال تشجيع ودعم السلطة الحاكمة للعلماء والمفكرين، خاصة في عهد المولى الرشيد والمولى إسماعيل. بحيث تم بناء المدارس والمعاهد، والاهتمام بأمور العلماء، وكذا منحهم المكافآت والهدايا في سبيل تطوير العلم والتعليم في المغرب الأقصى.

بالإضافة إلى انتشار وسائل أخرى ساعدت على تطور العلوم في المغرب الأقصى كالرحلات العلمية بكل أنواعها، خاصة الرحلة الحجازية التي تكون خلال موسم الحج، والسفارات التي تخص الجانب السياسي. الأمر الذي كان له انعكاس وتأثير مباشر على الحياة الثقافية في المغرب الأقصى بحد ذاته وجميع أقطار العالم الإسلامي.

ومن هذا المنطلق يمكن أن نطرح التساؤلات الآتية:

ما هو دور العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية خلال فترة الحكم العلوي الأول؟، وكيف كانت علاقتهم بالسلطة الحاكمة؟، وما تأثير العلماء في رسم سياسية الحكم العلوي الأول؟، وما هي أهم الرحلات العلمية لعلماء المغرب في العهد العلوي الأول؟

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

المبحث الأول: دور العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية خلال فترة الحكم العلوي الأول

أولاً: علاقة العلماء بالسلطين

أ/ في عهد المولى الرشيد (1075-1084هـ / 1664-1672م)

مباشرة بعد اعتلاء المولى الرشيد سدة الحكم سعى إلى توحيد وتأمين استقرار المغرب الأقصى، و هذا الأمر كان له انعكاس على الحياة الفكرية المغربية، بحيث عرفت قيام نهضة علمية كبيرة¹.

ونشير إلى أن أغلب الباحثين والمؤرخين أجمعوا أن المولى الرشيد كان له شخصية علمية فذة وعبقريّة، وقد أشادوا بأعماله الجليلة، خصوصاً في مجال نشر العلم والمعرفة بهدف خدمة الفكر الإسلامي².

كانت علاقة المولى الرشيد بالعلماء جيدة، بحيث أن هذا الأخير كان يقدر العلماء والعلم بصفة عامة، فمنحهم الهدايا والعطايا، إضافة إلى تشجيعهم على تأليف الكتب، بل ذهب أبعد من ذلك، بحيث كان يخلق بين العلماء منافسة محمودة، وقد أكد ذلك أبا علي اليوسي، قائلاً: "...ثم جاء المولى الرشيد بن الشريف فأعلى مناره (أي العلم)، وأوضح نهاره وأكرم العلماء إكراماً لم يعهد وأعطاهم ما لا يعد، ولا سيما بمدينة فاس، فضح من قبله، وأنعب من بعده. ولو طالت مدته لجاءته علماء كل بلدة"³.

¹ عبد الإله بلمليح، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ب ط، المغرب، 1995م، ص83.

² أسية الهاشمي البلغيثي، المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، مطبعة فضالة، ط1، ج1، المملكة المغربية، 1996م، ص220.

³ الحسن بن مسعود اليوسي، رسائل أبي علي، جم وتح ودر. فاطمة خليل القبلي، دار الثقافة، ط1، ج1، الدار البيضاء المغرب، 1981م، ص147. ينظر كذلك: محمد الأخضر، المرجع السابق، ص68.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

ونشير إلى ما حكاه صاحب الجيش عن تواضع المولى الرشيد مع أهل العلم، بأن هذا الأخير أراد أن يقرأ الكتب مع بعض علماء عصره، إلا أن العالم قال له أن: "العلم يؤتى ولا يأتي" فأجاب "المولى الرشيد رحمة الله يتردد لمنزل ذلك العالم للقراءة عليه"¹.

وننوه أن سلاطين الدولة العلوية هم الذين سنّوا استدعاء كبار المفكرين والعلماء للمشاركة في المجالس العلمية²، وهو ما أجمع عليه الباحثون أن المؤسس الحقيقي لفكرة المجالس العلمية السلطانية هو المولى الرشيد، لكونه كان "...حاملا لرأية أهل الرواية، مولعا بمجالسة أئمة العلماء وشيوخهم، وتعظيم مجالسهم"³.

بالإضافة إلى قيامه بإنشاء نزهة سنوية ريعية للطلبة لمدة أسبوع، يشارك فيها الأهالي والسلطة، تكون في فاس على ضفاف وادي الجواهر، من أجل الترويح على الطلبة⁴.

ونظير اهتمام المولى الرشيد بالعلم والتعليم في المغرب الأقصى خلال فتره حكمه، سعى إلى بناء المعاهد والمدارس، تم من خلالها بث نخضة علمية شاع نورها في كل أرجاء البلاد منها⁵.

- **مدرسة الشراطين بفاس**⁶: معروفة باسم الشراردة⁷، تأسست في أوائل شعبان لسنة 1081هـ الموافق لأواسط ديسمبر 1670م⁸، على أنقاض مدرسة الشماغين (نظرا لسوء أخلاق طلبتها)⁹، تحتوي على قبة للصلاة ومائتي واثنين وثلاثين غرفة على مستوى ثلاث طبقات¹⁰.

¹ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، المصدر السابق، ص44.

² أسية الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ص203.

³ نفسه، ص221.

⁴ عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، د.د.ن، ب ط، ج2، د.ب.ن، د.ت.ن، ص275.

⁵ أسية الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ص229.

⁶ عبد العزيز بن عبد الله، معطيات الحضارة المغربية، دار الكتب العربية، ط3، ج1، الرباط المغرب، 1963م، ص117.

⁷ محمد القبلي، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط1، الرباط المغرب، 2011م، ص403.

⁸ نصيرة كلة، المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية في كتاب "الاستقصا" للناصر، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2018 - 2019م، ص314.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

- مدرسة الصفارين بفاس: تم تأسيسها في سنة 1081هـ الموافق لـ 1670م¹، من أجل دراسة طلبة العلم، بل حتى ليسكنوا فيها، وقال عنها أبو زيد عبد الرحمن الفاسي:

انظر لبهجة بيت الله يارائي وسرح الجفن بين أرجائي

تخالها جنة تزهى مزخرفة بطيب الزهر من أنفاس قراء².

- الخزانة العلمية: كانت متواجدة في القسم الجنوبي من الجامع الأعظم بفاس³.

- مدرسة الشيخ أبي عبد الله محمد بن صالح بمراكش⁴.

ونوه أن في عهده وبعد تخريب الزاوية الدلائية⁵ نقل العلماء إلى فاس دون خوف، من أجل مواصلة نشرهم العلم والتعليم، بل إن منهم من كان يجالسه مثل العلامة أبو عبد الله المرابط⁶، ونوه أنه خلال نقلهم وفر لهم سبل العيش الكريم متعهدا بحلمه وبره⁷. و "...كان استيلاء المولى الرشيد على الزاوية في ثامن محرم سنة تسع وسبعين وألف ولما خرج إليه أهلها عفا عنهم ولم يرق منهم دما ولا كشف لهم سترا حلما وكرما منه رحمة الله"⁸.

⁹ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 535.

¹⁰ عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، المرجع السابق، ج 2، ص 274.

¹ نصيرة كلة، المرجع السابق، ص 314.

² محمد الأخضر، المرجع السابق، ص 68 - 69.

³ نفسه، ص 69.

⁴ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، المصدر السابق، ص 41.

⁵ كان هناك صراع حاصل بين السلطة العلوية والزاوية الدلائية التي كانت تحت قيادة محمد الحاج الدلائي، فقد استولى هذا الأخير على الرباط، فاس، تازة، تطوان، سلا، مكناس... الخ، من قبل، إلا أن وصول السلطان المولى الرشيد إلى الحكم قضى عليها سنة 1079هـ/1668م. للمزيد، ينظر: مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية والشرق العثماني محاولة في بناء الصورة، الانتشار العربي، ط 1، لبنان، 2015م، ص 167 - 168.

⁶ عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، المرجع السابق، ج 2، ص 274.

⁷ أسية الهاشمي البلغيشي، المرجع السابق، ص 222.

⁸ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، المصدر السابق، ص 37.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

إضافة إلى اهتمام المولى الرشيد بالمجالس الأدبية، وفي هذا القبيل قام بمدح شاعر جزائري في بيتين، قائلا:

فاض بحر الفرات في كل قطر من ندى راحتك عذبا فراثا
غرق الناس فيه والتمس الفقر خلاصا فلم يجده فمات.

أمده نظير هذا ألفين ونصف دينار¹، وكذلك مدحه شاعر من فاس في أربعين بيتا، فأمده نظيرا هذا أربعين قنطار من الذهب².

ومن أبرز الشهادات التي تشهد على حبه للعلم والعلماء، ما قاله الإفرائي عنه في كتابه: "... في أيامه كثر العلم، واعتز أهله، وظهرت عليهم أبعثته..."

أما كتاب الشجرة الزكية، فقد ذكر عنه، بما نصه: "... كثر في أيامه العلم، وانتشر تعاليمه... واعتز أهل العلم... فقد أغدق عليهم النعم، فتنافس الطلاب في التحصيل..."

بالإضافة إلى ما ورد في كتاب الضعيف، في قوله عنه: "... عمل على نشر العلم وبثه، وإتقانه وتحقيقه، وتعظيم طلبته، فأقبل الناس على العلم والتعليم..."³.

ب/ في عهد المولى إسماعيل 1084 – 1139هـ / 1672 – 1727م:

قيل عن شخصية المولى إسماعيل أنها جمعت بين العلم والشجاعة الأدبية والمادية والأخلاق، إلا أن بطولاته في الجانب العسكري⁴ طغت على ذلك⁵.

¹ محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، المصدر السابق، ص 428.

² أسية الهاشمي البلغشي، المرجع السابق، ص 227.

³ نفسه، ص 220.

⁴ ينظر: الملحق رقم: (4).

⁵ نفسه، ص 235.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

كانت علاقة المولى إسماعيل بالجانب الثقافي تابعة ومكملة لما كان يسير عليه أخوه المولى الرشيد، بحيث شهد الجانب العلمي توسعا وتطورا، بل كانت منجزاته أكبر وأهم من أخيه الرشيد في الميدان الثقافي، نظرا لطول تربعه على كرسي السلطة في المغرب الأقصى¹.

وقد قال عنه القادري: "وجدت الناس لأيام العلوم عهدا فكانت أسواق العلم في خلافته عامرة، ونجوم أفلاكه نيرة زاهرة"².

بالإضافة إلى قيامه بتزويد خزانة القرويين بنفائس الكتب وأمهات المصادر³، وإشرافه على تأطير وتكوين العلماء من خلال تخصيص لجنة تربوية تتابع دراسة التلاميذ، وأحوالهم والإنفاق عليهم في الكتابات القرآنية، بالإضافة إلى الطلبة الكبار في المعاهد العليا، فقد كان يختار الكفاء منهم لمناصب أعضاء مجالسه العلمية⁴. ولا ننسى أنه كان يقيم حفل خاص على شرف العلماء، عند ختم التفسير ابتداء من سنة 1120هـ/1708م⁵.

ونظرا لاهتمام الدولة بالزوايا العلمية في عهد المولى إسماعيل، تم إعادة بناء ضريح أبي القناديل سيدي يوسف⁶، وضريح مولاي إدريس الأصغر بفاس سنة 1131هـ/1718م، وكذا ضريح إدريس الأكبر بزرهون، سنوات (1132 - 1134هـ / 1719 - 1721م)⁷.

إلا أننا نشير أنه وقعت بعض التجاوزات في حق العلماء من قبل السلطة الحاكمة في عهد المولى إسماعيل، كما حدث مع الشيخ عبد السلام جسوس، بحيث تم اغتياله في السجن سنة 1121هـ/

¹ محمد الأخضر، المرجع السابق، ص73.

² أسية الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ص236.

³ نفسه، ص288.

⁴ نفسه، ص236.

⁵ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص538 - 539.

⁶ عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص163.

⁷ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص533 - 546.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم

الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

1711م، نتيجة عدم موافقة هذا الأخير على فتوى تمليك العبيد¹. (تم إجراء كل أنواع العذاب عليه بالإضافة إلى بيع كتبه وجميع ما يملك، وتم قتله من طرف أبو علي الروسي خنقا)².

كما سجن الشيخ أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن موسى بن محمد المشهور باسم التستاوتي لمدة سنتين بفاس، بتهمة محاولة الانقلاب على السلطة الحاكمة³.

ثانيا: تأثير العلماء في رسم سياسية الحكم العلوي الأول

كان العلماء يحملون مسؤولية جسيمة على عاتقهم من أجل تدبير مصالح المجتمع والوطن، حتى ولو كلفهم ذلك حياتهم، الأمر الذي جعلهم دائما حرصين على انتقاد وتذكير بعضهم البعض حول استقامة أحوال البلاد والعباد⁴.

فالعالم اليوسي كان يدعو إلى وحدة البلاد تحت مظلة السلطة الحاكمة، تجنباً للتفرقة والتشردم، وهو ما أكدّه مصطفى الغاشي، قائلاً: "وهكذا نجد شيخنا اليوسي قدم آراءه السياسية في حدود الوعي الذي أتيح له بالنسبة للحقبة التاريخية. وتأتي الرسالة الكبرى للمولى إسماعيل في مقدمة الرسائل الاجتماعية التي دعا فيها إلى ضرورة قيام الحكم على أساس تطبيق الشريعة وتنفيذ أحكامها والانتهاز بنواهيها. كما دعا إلى حرية الفكر وجعل العلماء - وهم الممثلون للفكر - في سعة من الالتزام السياسي"⁵.

¹ عبد الإله بلمليح، المرجع السابق، ص261.

² الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، المصدر السابق، ص 94 - 95.

³ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 559 - 560.

⁴ علال معكول، نماذج وصور من تصدي العلماء للفساد الاجتماعي والديني والصوفي خلال القرنين الهجريين الحادي عشر والثاني عشر، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، 1995م، جامعة محمد الأول، المملكة المغربية، ص269.

⁵ مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص184.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

ولا ننسى أنه كان يوجه رسائل النصح والتوجيه إلى المولى إسماعيل في إطار الاهتمام بأمته، كقيام الحكم على أساس الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى جعل العلماء هم الممثلون للفكر من خلال منحهم حرية الفكر¹.

وقد عرف عنه مواقف سياسية واضحة معارضة لسلطة الحكم، وكان يبدي رأيه وينتقد بعض الشؤون السياسية، ومنها ما يخص الدفاع والجهاد في الثغور المحتلة، بسبب معرفتها لقلة توفير السلاح للمجاهدين²، إضافة إلى طريقة وعملية جمع الأموال، وهو ما يفهم من قوله: "إن جباة المملكة قد جروا ذيل الظلم على الرعية فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم و امتصوا المخ...". وقال أيضا: "واعلم أن الأموال إذا اكتنزت واد خرت في الخزائن لا تنمو وإذا كانت في صلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف الأذية عنهم نمت وزكت وصلحت بها العامة وترتبت بها الولاية وطاب بها الزمان واعتقد فيها العز والمنفعة فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله..."³. وقد كلفته هذه الانتقادات مضايقات كبيرة من قبل السلطة الحاكمة⁴.

أما فيما يخص مساندة ودعم الزوايا للسلطة الحاكمة العلوية، نجد الزاوية المخفية التي كانت تحت قيادة الشيخ أحمد بن عبد الله بمعن المتواجدة في فاس، وقد نقل عنه قوله: "لله الحمد والشكر والمنة وكثر الخير عندنا لما دخلنا طاعة ملكنا السلطان إسماعيل الشريف الحسن نصره الله وهداه ووفقه لما يحبه ويرضه"، داعيا أتباع الزاوية إلى محبة وطاعة السلطة، دون أن ننسى أن هذه الزاوية كان لها فضل كبير في دخول المولى إسماعيل إلى مدينة فاس⁵.

¹ محمد الكتاني، ملامح الفكر السياسي عن الحسن اليوسي، مجلة المناهل، ع15، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط المغرب، 1 جوان 1979م، ص ص 205 – 208.

² مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص 184.

³ عبد الهادي التازي، بطاقة في منتهى الطاقة، مجلة المناهل، ع15، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط المغرب، 1 جوان 1979م، ص ص 300 – 301.

⁴ مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص 184.

⁵ نفسه، ص ص 179 – 180.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

وننوه إلى الدور الكبير لسيد أحمد حجي سنة 1103هـ/1691م¹، ونجله عبد الله (المعروف بـ: الجزار) في تحرير مدينة المهديّة من قبضة الإسبان².

المبحث الثاني: الرحلات العلمية للعلماء العلويين وعلاقتهم بأقطار العالم الإسلامي

أولاً: الرحلات العلمية للعلماء العلويين وعلاقتهم بتطور العلوم

تعتبر الرحلة³ من أحد الفنون الأدبية التي تضم الرسائل، والأشعار والتراجم، وما إلى غير ذلك من المجالات، الناتجة عن رحلة رسمية أو حج أو زيارة بيت المقدس أو طلب العلم أو السياحة أو أي غرض من الأغراض⁴. وبمعنى آخر الرحلة التي قد تكون بدافع ديني أو علمي أو سياسي⁵.

- رحلة أبو سالم العياشي 1037 - 1090هـ/1628 - 1679م:

يعد أبو سالم العياشي من أهم علماء المغرب الأقصى الذين وضعوا بصمات بارزة في التاريخ الإسلامي عموماً والمغربي خصوصاً⁶. نسبه هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى بن الصوفي، المعروف والمشهور برحلة "ماء الموائد"⁷، وله العديد من المؤلفات، منها: "تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء"، "تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية"، "إظهار المنّة على

¹ نصيرة كلة، المرجع السابق، ص 289.

² إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، المرجع السابق، ص 559.

³ الرحلة: لغة: تم أخذ معناها عند العرب من رحل البعير، بمعنى الانتقال من مكان إلى آخر، أما اصطلاحاً: فتتعدد معانيها، إلا أنّها تصب في مغزى واحد وهو الانتقال من مكان إلى آخر بتعدد الأسباب، وقال عنها الإمام الغزالي أنّها: "مخالطة مع زيادة تعب ومشقة". للمزيد، ينظر: قريظي حميد وعدة جملة، إسهامات الرحالة المغاربة في كتابة تاريخ الشام القوم 17م - 18م (رحلة أبو سالم العياشي ورحلة أبو القاسم الزياني أنموذجاً)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع02، مج08، جامعة حمه لخضر الوادي، فيفري 2023م، ص ص 407 - 408.

⁴ عبد الإله بلمليح، المرجع السابق، ص 118.

⁵ مصطفى العياشي، المرجع السابق، ص ص 143 - 144.

⁶ عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ب ط، ج1، السعودية، 2005م، ص 200.

⁷ محمد الأخضر، المرجع السابق، ص 90.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

المبشرين بالجنة"¹. تلقى تعليمه في البداية عند والده محمد بن أبي بكر العياشي (مؤسس الزاوية العياشية)، وعبر عن ذلك بقوله: "رباني فأحسن تربيتي، وغذاني بنفائس علومه فأحسن تغذيتي"². بالإضافة إلى تعلمه على يد الشيخ أبي عبد الله محمد ابن ناصر والشيخ حمدون الآبار، والشيخ محمد ميارة، والشيخ عبد القادر الفاسي والعالم عبد الرحمان بن القاضي³.

دوّ رحلته خلال حجته الثالثة سنة 1072هـ⁴، وكتب فيها عن المراكز الحضارية التي زارها⁵ من البلاد الإسلامية. وتعتبر رحلته موسوعة في علم التصوف والشرعية⁶. (التصوف الغربي والشرقي)⁷، بالإضافة إلى معرفة الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية للأماكن التي مر عليها خلال الرحلة.

وخلال عصره كانت له مساهمة بارزة في تنشيط الحركة الفكرية في المغرب الأقصى⁸. وذلك أن هذا الأخير قصد وزار عدة علماء فأخذ منهم وسمع عنهم، فاستفاد وأفاد، وقد "اتسمت شخصيته باطلاعها الوافر على علوم الحقيقة والشرعية والأدب وبذلك شكل أبو سالم العياشي ظاهرة علمية فريدة في عصره"⁹.

¹ سفيان صغيري، المناظرات العلمية والفقهية بين علماء الجزائر وعلماء المغرب الأقصى خلال العهد العثماني (نماذج مختارة)، مجلة الشهاب، ع02، مج09، جامعة حمه لخضر الوادي، 2023م، ص165.

² قريتلي حميد، عدة جميلة، المرجع السابق، ص408.

³ ليفي بروفنصال، المرجع السابق، ص185.

⁴ سعيد دربال، يامنة بحيري، تواصل علماء المغرب الأقصى بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الشهاب، ع03، مج07، جامعة حمه لخضر الوادي، 2021م، ص597.

⁵ عبد الإله بلمليح، المرجع السابق، ص202.

⁶ ليفي بروفنصال، المرجع السابق، ص185.

⁷ عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص139 - 140.

⁸ قريتلي حميد، عدة جميلة، المرجع السابق، ص409 - 415.

⁹ خالد التوزاني، العجيب في رحلة الموائد لأبي سالم العياشي (ت. 1090هـ)، مجلة متون، ع02، مج12، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، أوت 2020م، ص39.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

وقد قال عن رحلته عبد السلام ابن سودة أنها "أعظم رحلات أهل المغرب العلمية"¹، أما الشيخ المسناوي، فقد قال أنها "جمة الفوائد عذبة المواد غزيرة النفع جليلة القدر جامعة في المسائل العلمية المتنوعة ما يفوت الحصر، سلسلة المساق والعبارة، مليحة التصريح والإشارة، كرحلة الضابط أبي عبد الله ابن رشيد الفهري المسماة بملء العيبة..."². ونشير إلى أن شخصيته كانت ذات أثر بالغ، لدرجة أنها لفتت أنظار الأوروبيين، فمثلا ترجم قسم من رحلته إلى الفرنسية، الفرنسي باربروجير Barbruger³، ونشرها في مجلة جزائرية⁴.

- رحلة اليوسي 1102هـ/1691م:

هو أبو علي الحسن بن مسعود بن اليوسي، أحد تلاميذ الشيخ أبا عبد الله محمد بن ناصر الدرعي⁵، كانت رحلته خلال التوجه إلى الجنوب سنة 1095هـ، بحيث تطرق فيها إلى الحياة الأدبية الصوفية بالمغرب، وتعرف على أنواع التصوف المغربي خلال القرن العاشر⁶. بالإضافة إلى أنها مصدر مهم لمعرفة ودراسة حياة اليوسي وآرائه في المجتمع والدين والسياسة والأدب⁷.

كان من بين العلماء الذين نشأوا في أحضان الزاوية الدلائية، والتي تم القضاء عليها في عهد المولى الرشيد⁸. قال عنه الشيخ محمد المرابط الدلائي أنه: "...الصدر الرئيس، فارس الإملاء والتدريس، شيخ الجماعة بالديار البكرية والحضرة الدلائية ذو التدقيق بالمعهد أبو الحسن مسعود، صاحب

¹ قريتلي حميد، عدة جميلة، المرجع السابق، ص410.

² شرف موسى، أخبار العلم والعلماء بأرض الحجاز من خلال الرحلات المغربية رحلة أبي سالم العياشي وابن الطيب الشرقي والهلالي نماذجاً، مجلة قضايا تاريخية، ع07، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2017م، ص ص85 - 86.

³ عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، المرجع السابق، ص201.

⁴ Moula-Ahmed et El-Aiachi, **Voyages dans le sud de L'Algérie et des états Barbaresques de L'Ouest et de L'Est**, Traduits. Adrien Berbrugger, Exploration Scientifique de L'Algérie Pendant les Années 1840 - 1841 - 1842, IX, Imprimerie Royale, Paris, 1846, pp5 - 114.

⁵ محمد العربي الخطابي، الحسن اليوسي من خلال "المحاضرات"، مجلة المناهل، ع15، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، 1979م، ص114.

⁶ عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص ص139 - 140.

⁷ محمد العربي الخطابي، المرجع السابق، ص ص115 - 116.

⁸ محمد الكتاني، المرجع السابق، ص197.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

النباهة الشامخة، والنزهة الباذخة والجلالة العليا، والهمة التي نيطت بالثريا، المتمسك من الرواية بأسبابها، ومن النزاهة بأهدابها، من ألفت إليه المعارف زمامها، وجمعت السيدة ما وراءها من المجد وأمامها"¹.

أما الكتاني في "فهرس الفهارس" قال أيضا أنه: "عالم المغرب ونادرتة وصاعقته في سعة الملكة وفصاحة القلم واللسان مع الزعامة والإقدام"².

- الرحلة الناصرية لأحمد بن ناصر الدرعي 1129هـ/1717م:

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر الدرعي أبو العباس³، من مواليد 18 رمضان سنة 1057هـ، الموافق لـ 1647م، يعتبر من أبرز علماء المغرب الأقصى، وهو رحالة وأديب ومؤرخ، وقد وصفه الإفرائي، أنه: "كان رحمه الله إمام وقته علما وعملا، قولاً بالحق، شديد الشكيمة على أهل البدع، لا تأخذه في الله لومة لائم، مُتَصَاناً مقبلاً على ما يعنيه، متابعاً للسنة في أقواله وأفعاله، حريصاً على إحياء السنن وإماتة البدع، فهدى الله به أقواماً ونفع به أناساً كثيراً..."⁴.

إضافة إلى أنه كان المنظم الحقيقي للطريقة الناصرية في الجنوب المغربي⁵، وقد قام بنشر العلم داخل المغرب، راجع لكونه نشأ في أسرة ومحيط علمي وديني، والده الشيخ محمد بن ناصر، كان مدرس

¹ محمد حجي، المرجع السابق، ص106.

² مصطفى السلاوي، كتاب زهر الأكمل في الأمثال والحكم لأي علي الحسن اليوسي نموذجاً للحركة العلمية في عصر الدولة العلوية، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر 1995م، جامعة محمد الأول، المملكة المغربية، صص 131 - 132.

³ أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية 1709 - 1710م، تح. عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، ج1، الإمارات العربية المتحدة، 2011م، ص19.

⁴ محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الإفرائي، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تق و تح. عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، ط1، الدار البيضاء المغرب، 2004م، ص364. ينظر كذلك: مارية شارف، لخضر بن بوزيد، رحلة أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي ودورها في التواصل الثقافي والروحي بين المغرب والمشرق خلال القرن الثامن عشر، مجلة دراسات تاريخية، ع01، مج09، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، سبتمبر 2021م، ص116.

⁵ ليفي بروفنصال، المرجع السابق، ص206.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

للعلم في الزاوية الصوفية في تمكروت، وخارجها على وجه الخصوص في المشرق أثناء أدائه لفريضة الحج¹.

كانت رحلته عبارة عن وصف لكل ما سمعه وشاهده أثناء زيارته لبيت الله الحرام سنة 1121هـ/1709م²، بالإضافة إلى اعتماده على رحلة أبي سالم العياشي³، ومن بين ما ذكره معلومات تتعلق بالمنازل والمسالك، إضافة إلى أسماء مجموعة من علماء الجزيرة العربية ومصر خلال القرن الثامن العاشر⁴. وبوجه عام، فقد تناول معلومات متعددة في مجالات شتى، من بينها المجال الفقهي، والمجال التاريخي، والمجال الاجتماعي والثقافي⁵.

- رحلة الرافعي الأندلسي التطواني 1110هـ / 1698م:

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن علي الرافعي الأندلسي التطواني، قام برحلته في سنة 1096هـ/1685م، خلال أدائه لمناسك الحج، عرض من خلالها مدينة مكة المكرمة⁶، إضافة إلى وصفه لكل الطرق التي سلكها، ومختلف العادات الاجتماعية للمدن التي مر بها مثل الجزائر ومصر⁷، وسمى رحلته باسم "المعارج الراقية في الرحلة⁸ المشرقية"⁹.

- رحلة محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي "رحلة الوزير في افتكاك الأسير":

¹ مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص 185.

² ينظر: الملحق رقم: (2).

³ عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، المرجع السابق، ص 254 - 263.

⁴ ليفي بروفنصال، المرجع السابق، ص 207.

⁵ مارية شارف، لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 117.

⁶ عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، المرجع السابق، ص 244.

⁷ مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص 282 - 283.

⁸ ينظر: الملحق رقم: (3).

⁹ أحمد حدادي، تاريخ المغرب من خلال الرحلات في عصر الدولة العلوية، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، 1995م، جامعة محمد الأول، المملكة المغربية، ص 321.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

تمثلت هذه الرحلة في سفريّة محمد بن عبد الوهاب الغساني إلى إسبانيا ولقائه بالملك كارلوس الثاني سنة 1690م، في مهمة كلف بها من طرف السلطان إسماعيل، من أجل تبادل الأسرى، بالإضافة إلى استرجاع الكتب العربية¹.

ونشير إلى وجود العديد من الرحلات الأخرى كرحلة الحاج محمد قميم إلى فرنسا سنة 1093هـ/1682م، ورحلة أحمد محمد المهشوني إلى الحجاز سنة 1086هـ/1684م، ورحلة أبو عبد الله مجد التركي إلى باريس سنة 1099هـ، ورحلة أحمد القادري الفاسي إلى الحجاز، وقد سمي هذا الأخير رحلته بـ "نسمة الأس في حجة سيدنا العباس"².

وفي الختام، يمكن القول إن الرحلة في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي، وبشكل خاص في زمن حكم المولى إسماعيل، كانت نشطة وحيوية، وهو ما انعكس بوضوح على توثيق مراحلها وتنوع الكتابات التي تناولتها³.

وأن الرحلة كانت رافدا من روافد انتقال العلماء والعلم بين المغرب الأقصى والعالم الإسلامي، على وجه الخصوص المشرق، أي بمعنى آخر كانت حلقة وصل بين هذه الأقطار⁴، وأخص بالذكر تلك الرحلات التي كانت تهدف إلى أداء فريضة الحج، إذ شكّلت هذه الشعيرة عاملاً مهماً في التقاء العديد من المفكرين والعلماء من مختلف الأعراق والطوائف والشعوب، وقد عبر عن ذلك عبد الرحمن بن يحيى العلمي، قائلاً "...كان من أعظم ما يهتم به العالم إذا حج الاجتماع بالعلماء والاستفادة منهم وإفادتهم، لقد كان بعض العلماء يحج ومن أعظم البواعث له على الحج طلب العلم والاجتماع

¹ نصيرة كلة، المصادر المغربية الرئيسية لتاريخ الدولة العلوية بالمغرب الأقصى، مجلة مدارات تاريخية، ع3، مج1، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، سبتمبر 2019م، ص384.

² أحمد حدادي، المرجع السابق، ص319-321.

³ شرف موسى، المرجع السابق، ص83.

⁴ نفسه، ص95.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

بالعلماء...¹، بالإضافة الى أخذ الإجازات العلمية² من العلماء³، إذ تحظى بأهمية كبرى في المغرب، وتُعد امتيازًا خاصًا يُفرد به العالم الحاصل عليها عن باقي العلماء⁴.

ونشير إلى أن الرحلة كانت وسيلة لنقل الكتب والمخطوطات إلى بلاد المغرب الأقصى، ولا سيما تلك التي جُلبت من الحجاز، إما شراء أو استنساخًا، كنقل أصول المذهب المالكي على حقيقته، ومنها ما جعل وقفًا في المكتبات، كما قام العياشي بوضع الكتب في مكتبة الحمزاوية⁵، وقيل: "إن بعض العلماء إذا افتقد كتابًا ولم يستطع الحصول عليه رغم تطوافه في البلدان لجأ إلى الإعلان عنه في الحج طمعًا في معرفة مكانه أو كيفية الوصول إليه"⁶.

ويجدر بنا أن نُشَبِّه الرحالة بمدارس علمية متنقلة، تنشر العلم وتستقبله في مختلف أقطار العالم الإسلامي، حيثما حلّوا أو ارتحلوا⁷، وكان للرحلات الحجازية أثرًا بالغًا على النهضة العلمية في مكة والمدينة، إذ شارك العديد من الرحالة في حلقات التدريس داخل الحرمين الشريفين، مما أضفى زخمًا علميًا على المنطقة⁸.

¹ عبد الرحمن يحيى المعلمي اليماني، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تح. علي محمد عمران ومحمد عزيز شمس، دار عطاءات العلم، ط1، مج15، السعودية، 2024م، ص415.

² الإجازة: هي رخصة وإذن من محدث لغيره أن يروي كتابًا أو حديثًا أو مؤلفات له، وتتكون الإجازة من المجيز، المجاز له، المجاز به ولفظ الإجازة. للمزيد، ينظر: سلطان ثابت، الإجازة العلمية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 13-15م: ذاكرة علم وإشهاد بمعارف، مجلة سلسلة الأنوار، ع02، مج12، جامعة محمد بن أحمد وهران 02، 2022م، ص184 - 185.

³ صادق الحاج، أثر الرحلات المغاربية على البيئة الحجازية، مجلة تاريخ المغرب العربي، ع09، جامعة الجزائر 02، 2018م، ص135 - 136.

⁴ مصطفى العاشي، المرجع السابق، ص466.

⁵ طاهر تومي، رحلات الحج وطلب العلم من بلاد المغرب الإسلامي إلى الحجاز خلال القرن الحادي عشر الهجري - أبو سالم العياشي أمودجا، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع01، مج14، جامعة حمه لخضر الوادي، جانفي 2023م، ص153.

⁶ مصطفى العاشي، المرجع السابق، ص464.

⁷ صادق الحاج، المرجع السابق، ص145.

⁸ نفسه، ص140.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

على الرغم من التقدم الذي عرفه المغرب الأقصى في تلك الحقبة، إلا أنه لم يرق إلى مستوى النهضة العلمية التي شهدتها أوروبا¹.

ثانيا: تأثير العلماء المغاربة العلويين في العالم الإسلامي

لقد كانت بلاد المشرق الإسلامي منارةً للثقافة ومركزاً للحضارة الإسلامية، وهو ما أكسبها مكانة رفيعة في نفوس المغاربة²، وقد اعتادوا التوجه إليها لأداء مناسك الحج، الأمر الذي أتاح لهم فرص إلقاء الدروس في منابرهما، فضلاً عن الاستزادة من العلم³.

ومن أهم العلماء المغاربة الذين كان لهم تأثير في العالم الإسلامي، نذكر ما يلي:

- **عبد الرحمن الجامعي**: من مواليد سنة 1087هـ بفاس، انتقل واستقر بمدينة تلمسان بالجزائر، وكان ذلك أثناء فتح وهران الأول سنة 1119هـ / 1707 - 1708م، وتمكن خلالها من مجالسة الكثير من العلماء وتولي تدريس النحو والبيان⁴، ومن أهم أعماله تأليفه حول فتح وهران الأول⁵.

- **عبد القادر الفاسي 1007 - 1091هـ / 1599 - 1688م:**

هو أبو محمد عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفهري الفاسي⁶، يعتبر من أهم العلماء المغاربة الذين ذاعت شهرتهم حتى بلغت المشرق الإسلامي، وقد تكون على يده العديد من الطلبة من أبرزهم أبا سالم العياشي⁷، وكان رئيس الزاوية الجزولية بفاس⁸.

¹ عبد الإله بلمليح، المرجع السابق، ص 261.

² مروان بن شوش، مشاركة علماء المغرب في الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي خلال القرنين 5 - 7هـ / 11 - 13م، مجلة الباحث، ع 02، مج 13، المدرسة العليا للأستاذة بوزريعة، جانفي 2022م، ص 41.

³ نصيرة كلة، المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية في كتاب "الاستقصا" للناصري، المرجع السابق، ص 339.

⁴ سعيد دربال، يامنة بحيري، المرجع السابق، ص 600 - 601.

⁵ نفسه، ص 602.

⁶ نصيرة كلة، المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية في كتاب "الاستقصا" للناصري، المرجع السابق، ص 324.

⁷ محمد الأخضر، المرجع السابق، ص 103.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

- محمد بن سليمان الروداني 1037 - 1094هـ / 1627 - 1683م:

كان عالما متضلعا في جميع العلوم الدينية والدنيوية (الفقه، النحو، الرياضيات، الأدب، الفلك)، وقد لقب بالعديد من الألقاب نتيجة تجواله في العديد من البلدان كالحرمين الشريفين، والقسطنطينية، ومصر، ودمشق، منها: أبا عبد الله محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي، وابن طاهر السوسي المغربي الروادني المراكشي المالكي¹.

ولا يفوتنا إلا أن تُبرز أثره الواضح في مكة على وجه التحديد، خلال القرن الثاني عشر الهجري، بحيث كان مشاركا في المناظرات، ومحاضرا في التاريخ العلمي والسياسي والاجتماعي، كما كان المؤثر والباقي للحرم، وكان يُعرف بلقب شيخ الأشياخ وأحد كبار الأشراف².

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفيلاي:

كان من أبرز العلماء المقيمين في جوار المدينة المنورة، حيث كان يقدم فيها دروسا علمية. توفي سنة 1141هـ/1728م³.

كما نُلفت إلى أن المغرب الأقصى شكّل وجهةً لعدد من العلماء، لما تزخر به حواضره من مراكز علمية كان لها أثر بالغ في العالم الإسلامي، فقد أصبحت هذه الحواضر محطات علمية هامة يقصدها العلماء والطلبة، لا سيما الجزائريين، وخصوصًا التلمسانيين، نظرًا لقرب المسافة بين تلمسان وفاس⁴. ومن بين هؤلاء أسرة أبي الفتوح التلمساني، التي انتقلت من الجزائر إلى المغرب الأقصى، وكان على رأسها العالم أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي الفتوح الشريف الحسني التلمساني، الذي أقام في منطقة درعة المغربية، وذلك عقب لقاءه بالشيخ محمد بن ناصر خلال حجته الأولى سنة 1070هـ/1659م⁵.

⁸ ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 186.

¹ محمد الأخضر، المرجع السابق، ص 106 - 111.

² عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، المرجع السابق، ص 221.

³ مصطفى العاشي، المرجع السابق، ص 468.

⁴ نصيرة كلة، المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية في كتاب "الاستقصا" للناصر، المرجع السابق، ص 340.

⁵ محمد بومدين، المرجع السابق، ص 486.

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول

خلاصة الفصل:

شهدت الحياة الفكرية في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول ازدهاراً كبيراً في مختلف العلوم، وعلى وجه الخصوص في عهد السلطان الرشيد والمولى إسماعيل اللذين كانوا دأباً على حضور المجالس العلمية للعلماء وشجع السلاطين العلويين العلماء من خلال المكافأة والعطايا. ومن الملاحظ أن شغف السلاطين العلويين بالجانب العلمي هو الذي كان انعكس على امتداد الإشعاع العلمي من المغرب إلى العالم الإسلامي.

وننوه أن الرحلة كانت أداة نقل حربي إذ كانت تسرد وتصف تفاصيل الدقيقة للأحداث في تلك الفترة، وساهمت في إثراء الجانب الفكري للمغرب الأقصى من خلال إعطائنا صورة مصغرة عن الأحداث و الأوضاع لدول العالم خاصة الإسلامية في تلك الحقبة.

ومن بين أهم ما تحمله ثنايا الرحلة هو إبراز تقارير مفصلة عن المراكز الفكرية والعلمية، بمعنى آخر الرحلة سلطت الضوء على طبيعة العلوم المتداولة في العالم الإسلامي في تلك الفترة، بالإضافة أنها كانت حلقة وصل علمية بين المغرب الأقصى والعالم الإسلامي خاصة الحجازية.

الختامة

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة تم استخلاص عدد من النتائج المهمة يمكن إيجازها فيما يلي:

- بلغت الحياة العلمية في عهد أحمد المنصور درجة عالية من الازدهار، تجلت في كثافة المؤسسات التعليمية وتنوع التخصصات وارتفاع عدد العلماء والطلبة، وقد أسهم السلطان أحمد المنصور، بثقافته الواسعة، في تعزيز هذا الزخم العلمي وترسيخه، من خلال دعمه للتأليف وإنشائه للخزائن العلمية، كما مثلت الزوايا العلمية مراكز حيوية لنشر المعرفة وتكوين النخب العالمية، غير أن هذا الازدهار لم يدم طويلاً، إذ عرف تراجعاً ملحوظاً بعد وفاة المنصور، نتيجة تفاقم الأوضاع السياسية، مما انعكس سلباً على الحياة الفكرية والعلمية بالمغرب.

- ساهمت الأوضاع المتأزمة عقب وفاة أحمد المنصور وما رافقها من انقسام سياسي وصراع على الحكم بين أبنائه في إضعاف الدولة السعدية وتفكك السلطة المركزية، مما مهّد لظهور الدولة العلوية، وقد تأسست هذه الدولة في البداية على المبادرات الفردية والتحركات العسكرية الناجحة دون تخطيط مؤسسي مسبق، مستفيدة من تحولات الولاء والصراع بين القوى المحلية، ومع تولي المولى محمد بن الشريف الحكم بدأت ملامح الدولة العلوية تتشكل تدريجياً وخاصة مع بروز مولاي الرشيد ثم مولاي إسماعيل معتمدة على مؤسسة البيعة وبنية مخزنية تجمع بين التسيير الإداري والتأطير القبلي والعسكري، كما اعتمد العلويون على أساليب مالية كالجباية لتقوية سلطتهم، وهو ما تكرر أكثر في عهد المولى إسماعيل الذي نجح في فرض النظام وضمان الأمن، مما ساعد على استعادة التوازن الاقتصادي والاجتماعي للبلاد.

- شكّلت الكتابات القاعدية الأولى لنظام التعليم التقليدي، حيث اهتمت بتحفيظ القرآن وتعليم الكتابة للناشئة، وانتشرت على نطاق واسع في المدن والقرى تحت أسماء مختلفة، مما يعكس عمق تجذرها في المجتمع، وقد بلغت أوج ازدهارها في عهد المولى إسماعيل سواء من حيث جودة التعليم أو من حيث كثرة الحفاظ الذين تخرجوا من رحابها، كما ارتبطت بطقوس احتفالية معبرة عن القيمة الرمزية للقرآن. وأسهمت كذلك في إعداد المتعلمين للانتقال نحو مستويات أرفع من

التحصيل العلمي، مع ملاحظة تنوعها بين الذكور والإناث، وارتباط بعضها بشيوخ معروفين، مما أضفى عليها طابعًا محليًا مميزًا.

- أدّت المساجد دورًا تعليميًا محوريًا بجانب وظيفتها الدينية، إذ كانت تعتبر فضاءات مفتوحة أمام مختلف شرائح المجتمع، تجمع بين حلقات الشعبية تهتم بنشر الوعي الديني والفكري و المخصصة لشرح بعض المتون التعليمية، وتضم كراسي علمية ثابتة في مساجد كبرى، كمسجد القرويين والأندلس، وقد تميزت مدن مثل فاس ومكناس بغنى نشاطها العلمي داخل المساجد، مع دعم واضح من السلطة خصوصًا في عهد المولى إسماعيل، مما عزز من حضور العلم كقيمة مركزية في الحياة الدينية والسياسية على حد سواء.

- تجاوزت الزوايا وظيفتها الروحية لتتحول إلى مؤسسات شاملة تجمع بين العبادة والتعليم، والقيام على شؤون المحتاجين، وقد تنوعت أشكالها ووظائفها بحسب ارتباطها بالأولياء أو الطرق الصوفية، وتتميزت ببنية تنظيمية تسمح بإقامة حلقات علمية دائمة، وكان للزوايا كالفاسية والناصرية والدلائية أثر بالغ في نشر العلوم، كما ساهمت في استقطاب العلماء والمريدين على السواء، ورغم ما تعرضت له بعض الزوايا من مضايقات أو تفكيك، فإن أثرها العلمي لم ينقطع، إذ استمر عبر انتقال علمائها إلى مدن أخرى.

- مثلت الخزائن العلمية أحد أعمدة حفظ التراث الفكري المغربي، وتنوعت بين ملكية خاصة وعامة، وهو ما يدل على انتشار ثقافة الكتاب وتقديره في أوساط متعددة، وكان للخزانة السلطانية في عهد المولى إسماعيل موقع بارز من حيث التنوع والتنظيم، فيما أظهرت الخزائن الخاصة اهتمام النخب والمفكرين بالمعرفة، أما الخزائن العامة فارتبطت بالمساجد والمدارس والزوايا، وعكست علاقة متينة بين الدين والعلم، في حين مثلت الزوايا مراكز حيوية لجمع المخطوطات ونسخها، وهو ما يبرز التكامل بين الرسمي والشعبي في حفظ المعرفة.

- اتسمت المدارس بطابع مركب يجمع بين التدريس، والإيواء، والعبادة، وقد ارتبطت تسميتها بـ"الرباط" بما يعكس البعد الديني والروحي الذي طبع العملية التعليمية آنذاك، وقد عكست هذه

المؤسسات سياسة تعليمية مركزية من خلال إشراف الدولة على تسييرها وتعيين المسؤولين عنها، مما يدل على ارتباط التعليم بتكوين النخبة الإدارية، وبرز اهتمام السلاطين بنائها وتزيينها لا سيما في مراكش، حيث مثّلت فضاءً مفتوحاً أمام الطلبة من مختلف الفئات الاجتماعية، موقرةً بذلك مناحاً ملائماً لتحصيل العلم وترسيخ المعرفة.

- حافظ جامع القرويين على دوره التعليمي والعلمي عبر العصور، مكرّساً مكانته كمؤسسة راسخة في تكوين النخب وتخرج العلماء، وقد ارتبط هذا الدور باستقرار الدولة خاصة خلال العهد العلوي الذي عرف دعمًا واضحًا للحياة العلمية، كما كان منصب التدريس في جامع القرويين يحمل بعداً رمزياً وسياسياً لارتباطه المباشر بالسلطان، في حين ساهم توحيد المناهج في ترسيخ الانسجام العلمي بين مختلف الفروع والتخصصات.

- تميّز الإنتاج الفكري للعلماء القرويين بتنوعه، وانعكست موسوعية العلماء على طبيعة التكوين العميق الذي تلقّوه داخل المؤسسة، حيث اعتمدت في طرق التدريس على الشرح والنقاش، ضمن نظام مرّن يسمح بالتحصيل الفردي والتخصص. إضافة إلى تمتّع الطلبة بحرية داخل الفضاء التعليمي، وكان لهم احترام اجتماعي واضح، تُوجّج باحتفالات رمزية على غرار "سلطان الطلبة"، وهو ما يعكس مكانة العلم في الوعي الاجتماعي.

- لقد لعب الطلبة دوراً فعالاً في التفاعل مع السلطة السياسية، كما تجلّى ذلك في دعمهم للمولى الرشيد، وهو ما يعكس التقاطع الوثيق بين المسارين العلمي والسياسي، كما حظيت خزانة القرويين باهتمام بالغ من قبل السلاطين، سواء من حيث العناية بمحتواها أو تنظيمها، مما جعلها رافداً أساسياً في حفظ التراث وتوفير مصادر المعرفة، ويُعد هذا الاهتمام دليلاً على وعي حضاري رفيع بأهمية الكتاب كمؤسسة محورية في مشروع بناء الدولة.

- شكّلت مدينة فاس القلب النابض للحياة العلمية، بفضل مركزها الديني والتاريخي واحتضانها لجامع القرويين، وهو ما جعلها قطباً للعلماء والطلبة، خاصة مع الدعم المباشر من السلاطين العلويين، وقد ساعد هذا الزخم في جعل فاس مركز إشعاع معرفي يتجاوز الحدود المحلية. كما

برزت حواضر أخرى مثل سلجماسة، مراكش، تارودانت، وسوس، التي ساهمت بدورها في تنشيط الحركة العلمية، سواء من خلال إنتاج العلماء أو احتضان المؤسسات، وهو ما يعكس حرص الدولة على توزيع النشاط العلمي جغرافيًا وعدم حصره في مركز واحد.

- تميزت العلوم النقلية بازدهار كبير، حيث غطت مجالات متنوعة كعلوم القرآن والحديث والفقه والتصوف واللغة، واتسمت بالعمق الموسوعي والتداخل بين التخصصات، وهو ما يدل على تكوين علمي راسخ ومتنوع، كما شهدت هذه المرحلة بروزًا لافتًا لأدب التراجم والتاريخ، وهو ما يعكس الوعي بأهمية التوثيق وحفظ الذاكرة العلمية، في حين شهدت العلوم العقلية نشاطًا في مجالات كالطب والفلك والرياضيات، خصوصًا في مؤلفات بعض العلماء الذين جمعوا بين النقل والعقل، مما يدل على تنوع المعارف وتكاملها.

- حظى العلماء باهتمام واضح من طرف السلاطين لا سيما المولى الرشيد والمولى إسماعيل، اللذين جعلوا من دعمهم للعلم والعلماء جزءًا أساسيًا من مشروعاتهما السياسي، وقد تمثل هذا الاهتمام في تكريم العلماء، وتنظيم مجالس علمية سلطانية، وتأسيس مؤسسات تعليمية، والعناية بالخزائن والزوايا، ويعكس ذلك إدماجًا فعليًا للعلم في خدمة الاستقرار السياسي وتعزيز الشرعية.

- كان العلماء يتمتعون بقدر من الاستقلالية وهو ما مكنهم من أداء دورهم الإصلاحي، حيث عبّروا عن مواقفهم من السياسات السلطانية بدافع ديني وأخلاقي، وتنوعت أشكال تفاعلهم مع السلطة بين المشورة والنقد البناء، وهو ما جسّده العالم اليوسي الذي أبرز أن العلاقة بين الطرفين لم تكن جامدة بل مرنة، تعكس وعيًا عميقًا بالمسؤولية وتوازنًا دقيقًا بين الولاء والنصح.

- ساهمت الرحلات العلمية التي قام بها العلماء المغاربة إلى المشرق بشكل فعال في دعم النشاط العلمي بالمغرب سواء من خلال نقل المعارف أو الانخراط في حلقات التعليم وإثراء المكتبات، وقد أسهمت هذه الرحلات في تعزيز الروابط المذهبية والعلمية بين المغرب وسائر أقطار العالم الإسلامي، ولم يقتصر هذا التأثير على الحدود الوطنية، بل امتد إلى الحرمين الشريفين ومراكز علمية أخرى حيث ترك العلماء المغاربة بصماتهم من خلال التدريس والتأليف، وفي المقابل

استقبل المغرب علماء من بلدان مجاورة مما ساهم في تعميق إشعاعه العلمي والروحي في محيطه المغربي والإسلامي.

وفي ضوء هذه النتائج يمكن تقديم بعض التوصيات التي من شأنها أن تُسهم في تعميق البحث في موضوع الحياة العلمية خلال العهد العلوي الأول وهي كالآتي:

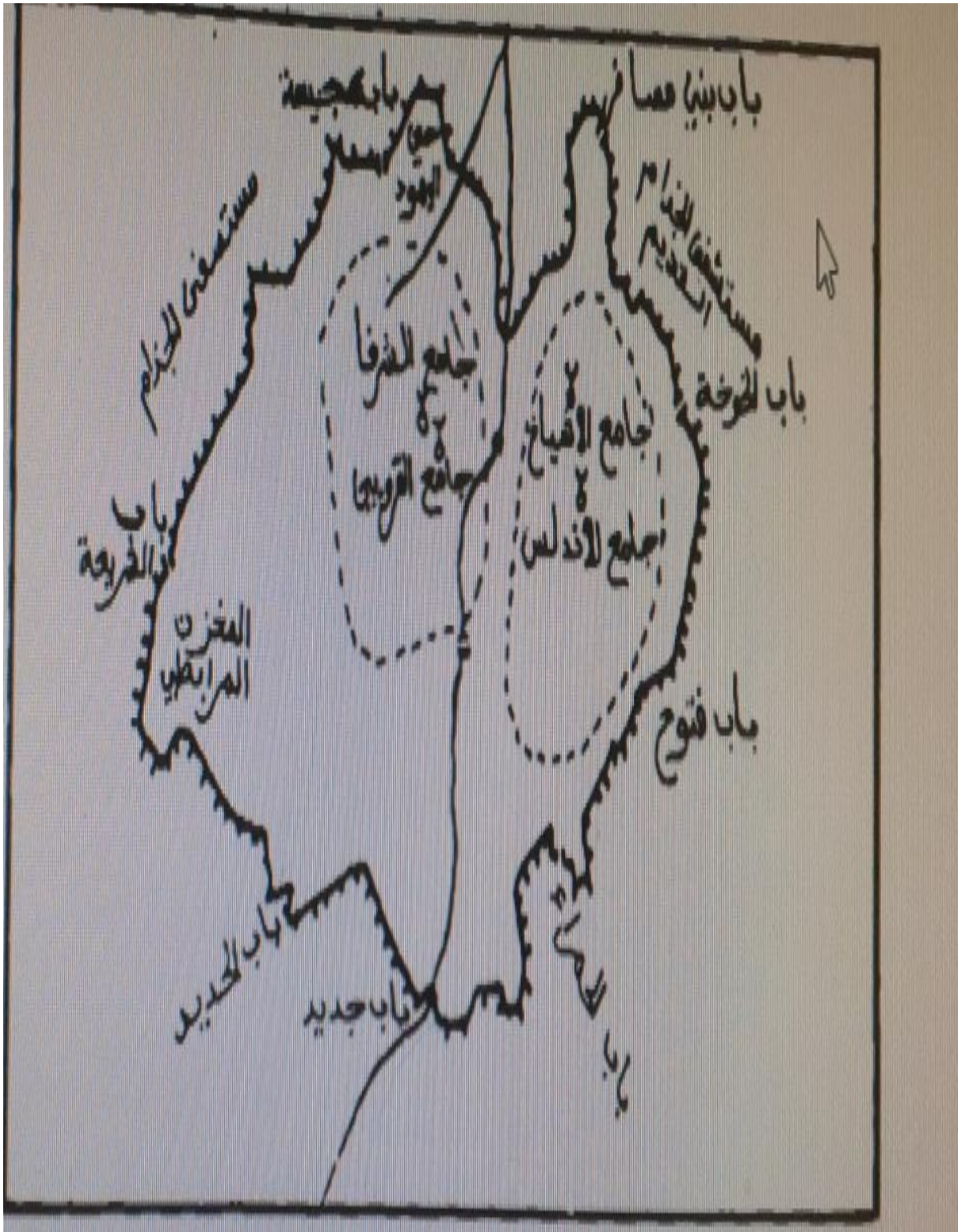
- تشجيع عقد ملتقيات علمية تخص تاريخ التعليم والعلماء في العهد العلوي، لتوسيع دائرة النقاش الأكاديمي حول الموضوع.
- اقتراح تحويل هذه الدراسة إلى مشروع بحث أوسع يشمل المقارنة بين الحياة العلمية في العهد العلوي الأول وفترات لاحقة لرصد تطور المؤسسات.

الملاحق

قائمة الملاحق:

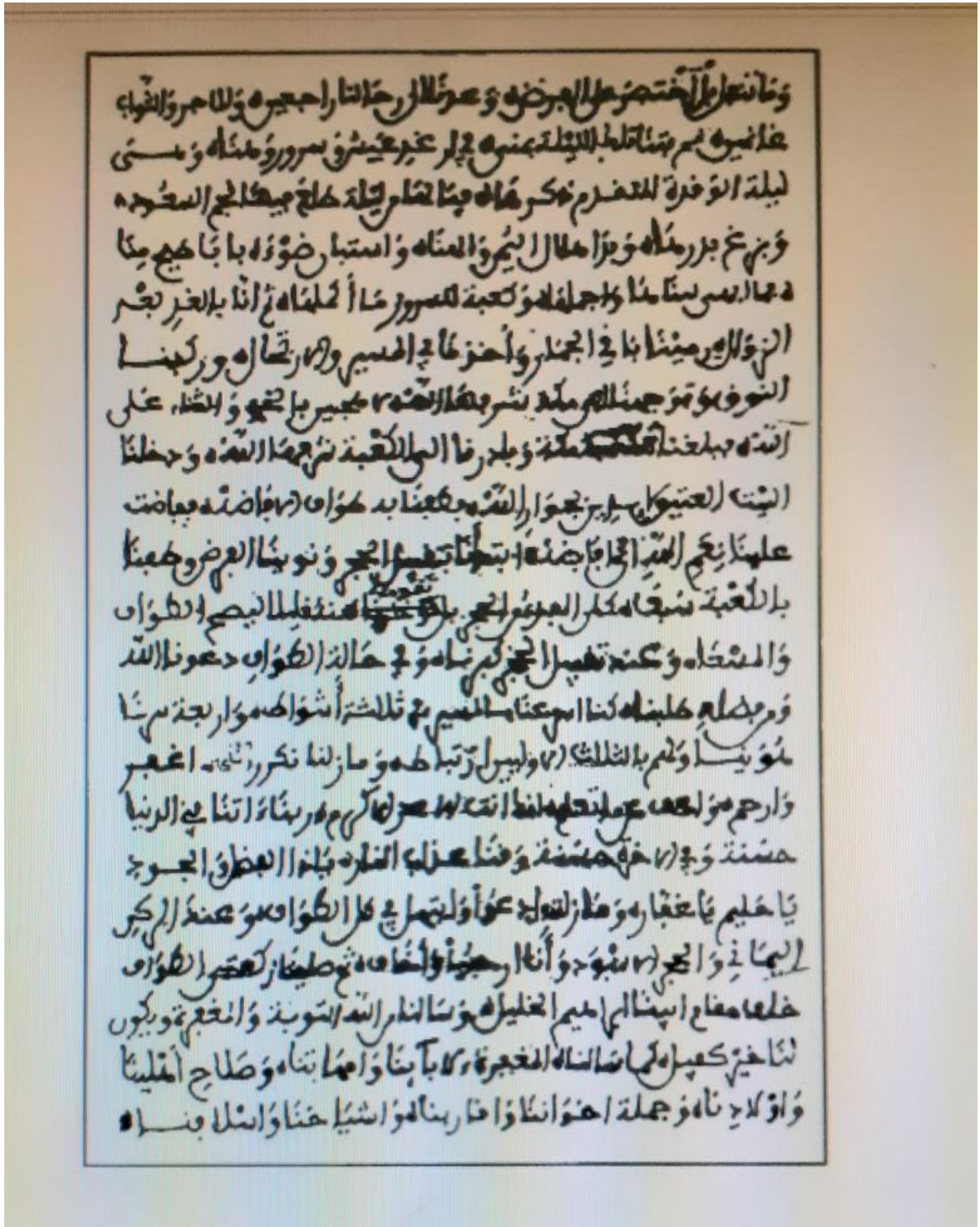
- الملحق رقم 01: الموقع الجغرافي لمدينة فاس.
- الملحق رقم 02: إحدى صفحات مخطوط رحلة ابن ناصر.
- الملحق رقم 03: إحدى صفحات مخطوط رحلة الرافي الأندلسي.
- الملحق رقم 04: صورة المولى الرشيد والمولى إسماعيل

الملحق رقم 01: الموقع الجغرافي لمدينة فاس¹.



¹ عبد الرحيم الوريغي، المرجع السابق، ص 8.

الملحق رقم 03: إحدى صفحات مخطوط رحلة الرافعي الأندلسي¹.



¹ عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، المرجع السابق، ص 250.

الملحق رقم 04: صورة المولى الرشيد والمولى إسماعيل¹.



¹ عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 200.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم : وفق راوية ورش عن الامام نافع

أولا/ المصادر:

- (1) الإفرائي محمد الصغير، ياقوتة البيان أرجوزة في البلاغة وشرحها، تح. عبد الحي السعيد، دار الكتب العلمية، ب ط، لبنان، 2007م
- (2) الإفرائي محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تق وتح. عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، ب ط، الدار البيضاء، 1998م.
- (3) الإفرائي محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تق وتح. عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، ط1، الدار البيضاء المغرب، 2004م.
- (4) بن خالد الناصري أبو العباس أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية، تح وتع. جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، ب ط، ج6، الدار البيضاء، 1997م.
- (5) بن خالد الناصري أبو العباس أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، تح وتعل. جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، ط1، ج7، الدار البيضاء المغرب، 1997م.
- (6) بن محمد بن ناصر الدرعي أبو العباس أحمد، الرحلة الناصرية 1709 - 1710م، تحق. عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، ج1، الإمارات العربية المتحدة، 2011م.
- (7) بن يوسف الفهري أبي أحمد محمد العربي، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن نبدة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب، در وتح. الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، د.د.ن، ب ط، د.ب. ن، د.ت.ن.

ثانيا/ المراجع:

- (1) إحدي محمد وبوطالب إبراهيم وآخرون، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ب ط، ج16، الرباط المغرب، 2002م.

قائمة المصادر والمراجع

- (2) احساين عبد الحميد وأحمد ميلود وآخرون، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ب ط، مج 21، الرباط المغرب، دجنبر 2005م.
- (3) الأخضر محمد، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075 - 1311هـ/1664 - 1894م)، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء المغرب، 1977م.
- (4) أكنوش عبد اللطيف، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، إفريقيا الشرق، ب ط، الدار البيضاء المغرب، د.ت.ن.
- (5) بروفنصال ليفي، مؤرخو الشرفاء، تعر. عبد القادر الخلاوي، دار المغرب، ب ط، الرباط المغرب، 1977م.
- (6) البلغشي أسية الهاشمي، المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، مطبعة فضالة، ط1، ج1، المغرب، 1996م.
- (7) بن القاضي أحمد، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، تح. محمد رزوق، مكتبة المعارف، ب ط، ج1، الرباط المغرب، 1986.
- (8) بن اليماني الحسن بن الطيب، التنبيه المغرب بما عليه الآن حال المغرب، تق وتصح. محمد المنوني، دار نشر المعرفة، الرباط المغرب، 1994م.
- (9) بن سعيد المرغتي أبو عبد الله محمد، فهرسة أبي عبد الله محمد بن سعيد المرغتي المسماة العوائد المزرية بالموائد، تح. محمد العربي الشريفي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط1، ج1، المغرب، 2007م.
- (10) بن عبد الله عبد العزيز، معطيات الحضارة المغربية، دار الكتب العربية، ط3، ج1، الرباط المغرب، 1963م.
- (11) بن علي التهانوي المولوي محمد أعلى، خياط للكتب والنشر، ج1، بيروت لبنان، 1853م.
- (12) بنين أحمد شوقي، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، تر. مصطفى طوي، الخزنة الحسنية، ط1، المغرب، 2003م.
- (13) بوعلام الصديق بن محمد بن قاسم، علماء الملوك والأمراء عبر التاريخ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 2024م.

- (14) التازي عبد الهادي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها الفكري والمعماري، دار نشر المعرفة، ط2، مج3، الرباط المغرب، 2000م.
- (15) التازي عبد الهادي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ب ط، ج1، مكة المكرمة السعودية، 2005م.
- (16) جلاب حسن، الحركة الصوفية بمراكش ظاهرة سبعة رجال، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش، 1994م.
- (17) الجمل شوقي عطا لله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، مصر، 1977م.
- (18) حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والسياسي، المطبعة الوطنية بالرباط، المغرب، 1964م.
- (19) حركات إبراهيم، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، دار الرشاد الحديثة، ط2، ج3، الدار البيضاء المغرب، 1994م.
- (20) حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، ب ط، ج2، الدار البيضاء المغرب، 2000م.
- (21) حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، دار الرشاد، ط2، ج3، الدار البيضاء المغرب، 1994م.
- (22) الدالي الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة مصر، 1999م.
- (23) الرحماني محمد علي ومحمد الأمين محمد، المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، ب ط، المغرب، د.ت.ن.
- (24) الرباطي محمد الضعيف، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تح وتع وتق. أحمد العماري، دار المآثورات، ط1، المغرب، 1986م.
- (25) ربيع عمار، المدرسة النحوية في المغرب الإسلامي خلال القرن السابع والثامن الهجريين، مركز الكتاب الأكاديمي، د.ب.ن، 2020م.

- (26) الريفي عبد الكريم بن موسى، زهر الأكم مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن المولى إسماعيل، تح. أسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، ب ط، الرباط المغرب، 1992م.
- (27) ريوش حسين، وقف الكتب وازدهار الحركة العلمية: خزانة جامعة القرويين أمودجا، دار الأكاديميون، ب ط، عمان، 2017م.
- (28) السجلماسي أحمد بن مبارك، تحرير مسألة القبول على ما تقتضيه قواعد الأصول والمعقول، تح. الحبيب العيادي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء المغرب، 1999م.
- (29) السعيد بوركبة، دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، مطبعة فضالة، ب ط، ج1، المحمدية المغرب، 1996م.
- (30) السقاط عبد الجواد، الشعر الدلائي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، الرباط المغرب، 1985م.
- (31) السكيوي بوشتي، ظاهرة الشروح الأدبية بالمغرب في العصر العلوي الأول بين جهود الإحياء الثقافي والتأصيل المعرفي، د.د.ن، ب ط، المغرب، 2015م.
- (32) السويسي عبد الله، تاريخ رباط الفتح، تق. محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ب ط، الرباط المغرب، 1979م.
- (33) شلبي أحمد، تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشف، بيروت لبنان، 1954م.
- (34) الصلابي علي محمد، دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، ط3، بيروت لبنان، 2009م.
- (35) صولي أدهم وآخرون، الدولة العربية المعاصرة بحوث نظرية ودراسات حالة، تح. محمد حمشي ومراد ديابي، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ط1، بيروت لبنان، 2023م.
- (36) الطيب محمد إدريس، زروق الشيخ أحمد، محتسب العلماء والأولياء الجامع بين الشريعة والحقيقة، دار كتاب ناشرون، ب ط، بيروت لبنان، 2019م.

- (37) الغاشي مصطفى، الرحلة المغربية والشرق العثماني محاولة بناء صورة، الانتشار العربي، ط1، لبنان، 2015م.
- (38) غانم إبراهيم البيومي، تحديد الوعي بنظام الوقف الإسلامي، دار النشر الثقافة والعلوم، ط2، د.ب.ن، 2016م.
- (39) فارس محمد خير وعامر محمود علي، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى - ليبيا)، الجمعية التعاونية للطباعة، ب ط، دمشق سوريا، د.ت.ن.
- (40) فاروق محمد، معايير الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، تق. الشيخ منير الغضبان، دار المأمون، ب ط، الأردن، د.ت.ن.
- (41) الفاسي أحمد بن يوسف، الدرر الحسان في الكلام على ليلة النصف من شعبان، تح. عبد الرزاق بن محمد زريوح، دار الكتب العلمية، ب ط، لبنان، 2021م.
- (42) القبلي محمد، تاريخ المغرب تبيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط1، الرباط المغرب، 2011م.
- (43) قويدر محمد علي أحمد، التجارة الداخلية في المغرب الأقصى في عصر الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، ب ط، د.ب.ن، د.ت.ن.
- (44) كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية دراسات تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، ط3، الرباط المغرب، 2006م.
- (45) كعت محمد، تاريخ الفتاش في أخبار الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس، تحر وتقر. حماد الله ولد سالم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 2012م.
- (46) كنون عبد الله، التعاشيب، دار الكتب العلمية، ب ط، بيروت لبنان، 2015م.
- (47) كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، د.د.ن، ط2، ج1، د.ب.ن، د.ت.ن.
- (48) كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، د.د.ن، ج2، د.ب.ن، د.ت.ن.
- (49) لوترنو روجيه، فاس في عصر بني مرين، ترج. نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ب ط، بيروت لبنان، 1967م.

- (50) مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، مج23، الرياض السعودية، 1999م.
- (51) المدغري عبد الكبير العلوي، الفقيه أبو على اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية، مطبعة فضالة، ب ط، المحمدية المغرب، 1989م.
- (52) معريش محمد العربي، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1989م.
- (53) المقري أحمد بن محمد، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين فاس ومراكش، تح. محمد سلام هاشم، دار الكتب العلمية، ب ط، بيروت لبنان، 2012م.
- (54) المنصور محمد، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين (1822 – 1792م)، ترج. محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2006م.
- (55) مهرداد الزبير، معجم الألفاظ والمصطلحات التربوية في التراث العربي، دار وجوه للنشر والتوزيع، ط1، الرياض السعودية، 2016م.
- (56) الوردغي عبد الرحيم، فاس في عهد الاستعمار الفرنسي 1912 – 1956م، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط المغرب، 1992م.

ثالثا/ الدوريات

أ – باللغة العربية:

- (1) بلكمال البضاوية، الوضع الطبي بالمغرب في بداية فترة الحماية من خلال "تاريخ الطب العربي بالمغرب" لمحمد بن أحمد العبدى الكاتوني (توفي 1359هـ / 1940م)، مجلة المناهل، ع89 – 90، وزارة الدولة بالشؤون الثقافية، الرباط المغرب، يونيو 2011م.
- (2) بن بوزيان عبد الرحمان، محطات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة فاس منذ النشأة إلى بداية عهد الحماية، مجلة قرطاس الدراسات الفكرية والحضارية، مج08، ع01، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2021م.

- (3) بن شوش مروان، مشاركة علماء المغرب في الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي خلال القرنين 5 - 7هـ / 11 - 13م، مجلة الباحث، ع02، مج13، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، جانفي 2022م.
- (4) بومدين محمد، التواصل الثقافي عند أسرتي العبد الوادي وأبي الفتوح بجواضر المغرب الأقصى خلال القرنين 11هـ/17م - 12هـ/18م، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، ع2، مج12، 16 جوان 2023م.
- (5) التازي عبد الهادي، بطاقة في منتهى الطاقة، مجلة المناهل، ع15، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط المغرب، 1 جوان 1979م.
- (6) تومي طاهر، رحلات الحج وطلب العلم من بلاد المغرب الإسلامي إلى الحجاز خلال القرن الحادي عشر الهجري - أبو سالم العياشي أنموذجا، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، ع01، مج14، جامعة حمه لخضر الوادي، جانفي 2023م.
- (7) ثابت سلطان، الإجازة العلمية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 13-15م: ذاكرة علم وإشهاد بمعارف، مجلة سلسلة الأنوار، ع02، مج12، جامعة محمد بن أحمد وهران 02، 2022م.
- (8) الحاج صادق، أثر الرحلات المغاربية على البيئة الحجازية، مجلة تاريخ المغرب العربي، ع09، جامعة الجزائر 02، 2018م.
- (9) حنشي محمد سعيد، تاريخ خزائن الكتب في المغرب الأقصى وذكر بعض فهارسها، مجلة أفاق الثقافة والتراث، ع72، مركز جمعة الموحّد للثقافة والتراث، 1 ديسمبر 2010م.
- (10) الخطابي محمد العربي، الحسن اليوسي من خلال "المحاضرات"، مجلة المناهل، ع15، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، 1 جوان 1979م.
- (11) دربال سعيد، بحيري يامنة، تواصل علماء المغرب الأقصى بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الشهاب، ع03، مج07، جامعة حمه لخضر الوادي، 2021م.
- (12) ريوش حسين، السياسة المالية وانعكاساتها بالمغرب خلال الفترة الممتدة من حكم المولى إسماعيل إلى عهد سيدي محمد بن عبد الله، مجلة الدراسات التاريخية، ع1، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 26 مارس 2019.

- (13) السلاوي محمد أديب، الفرجة مسرح المغاربة القدماء، مجلة الفيصل، ع155، دار الفيصل الثقافية، ديسمبر 1989م.
- (14) شارف مارية، بن بوزيد لخضر، رحلة أحمد بن محمد بن ناصر الدعي ودورها في التواصل الثقافي والروحي بين المغرب والمشرق خلال القرن الثامن عشر، مجلة دراسات تاريخية، ع01، مج09، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، سبتمبر 2021م.
- (15) صغيري سفيان، المناظرات العلمية والفقهية بين علماء الجزائر وعلماء المغرب الأقصى خلال العهد العثماني (نماذج مختارة)، مجلة الشهاب، ع02، مج09، جامعة حمه لخضر الوادي، 2023م.
- (16) عبد الصادق عثمان، جهود الزاوية الناصرية، مجلة دار الحديث الحسنية، ع11، المغرب، 1993م.
- (17) العشاب عبد الصمد، مساهمة علماء المغرب في ميدان الطب والتطبيب، مجلة التاريخ العربي، د.ع، مج1، جمعية المؤرخين المغاربة، د.ت.ن.
- (18) الفاروقي الرحالي، الدولة العلوية والقرآن الكريم، مجلة دعوة الحق، ع106، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مراكش المغرب، 1968م.
- (19) قرنتلي حميد، عدة جميلة، إسهامات الرحالة المغاربة في كتابة تاريخ الشام القرم 17م - 18م (رحلة أبو سالم العياشي ورحلة أبو القاسم الزياني أنموذجا)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع02، مج08، جامعة حمه لخضر الوادي، فيفري 2023م.
- (20) الكتاني محمد، ملامح الفكر السياسي عن الحسن اليوسي، مجلة المناهل، ع15، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط المغرب، 1 جوان 1979م.
- (21) كلة نصيرة، المصادر المغربية الرئيسية لتاريخ الدولة العلوية بالمغرب الأقصى، مجلة مدارات تاريخية، ع3، مج1، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، سبتمبر 2019م.

- (22) المتليني عبد العالي، علماء سلجماسة - تافيلالت بين الإقامة والترحال في العصر الحديث والمعاصر: أعلام كتاب نشر المثاني وقصر تابوعصامت أنموذجا، مجلة التراث، ع03، مج10، جامعة زيان عاشور الجلفة، 2020م.
- (23) المتليني عبد العالي، النقل والتنقل ودوره في اندراس حاضرة سلجماسة وبروز قصر تابوعصامت خلال العصر الحديث، مجلة الإنسان والمجال، ع02، مج06، المركز الجامعي البيض، ديسمبر 2020م.
- (24) مهندس عدنان، المسجد التفاعلي في المغرب خلال العهد العلوي وما قبله، الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، ع10، جامعة زيان عاشور الجلفة، مارس 2020م.
- (25) موسى شرف، أخبار العلم والعلماء بأرض الحجاز من خلال الرحلات المغربية رحلة أبي سالم العياشي وابن الطيب الشرقي والهلالي نماذجا، مجلة قضايا تاريخية، ع07، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2017م.
- (26) ميسوم ميلود، أدب الرحلة في الجزائر في القرن التاسع عشر رحلة محمد بن علي السنوسي إلى فاس أنموذجا، مجلة جسور المعرفة، ع04، مج05، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، ديسمبر 2019م.

ب - باللغة الأجنبية:

1) Moula-Ahmed et El-Aiachi, **Voyages dans le sud de L'Algérie et des états Barbaresques de L'Ouest et de L'Est**, Traduits. Adrien Berbrugger, Exploration Scientifique de L'Algérie Pendant les Années 1840 – 1841 – 1842, IX, Imprimerie Royale, Paris, 1846.

رابعاً/ الملتيقيات

- (1) بلمليح عبد الإله، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، 1995م.
- (2) حدادي أحمد، تاريخ المغرب من خلال الرحلات في عصر الدولة العلوية، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، 1995م، جامعة محمد الأول، المملكة المغربية.

قائمة المصادر والمراجع

(3) السلاوي مصطفى، كتاب زهر الأكمل في الأمثال والحكم لأبي علي الحسن اليوسي نموذجاً للحركة العلمية في عصر الدولة العلوية، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، جامعة محمد الأول، المملكة المغربية، 1995م.

(4) معكول علال، نماذج وصور من تصدي العلماء للفساد الاجتماعي والديني والصوفي خلال القرنين الهجريين الحادي عشر والثاني عشر، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، جامعة محمد الأول، المملكة المغربية، 1995م.

خامساً/ الرسائل الجامعية:

(1) كلة نصيرة، المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية في كتاب " الاستقصا " للناصر، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2018 – 2019م.

سادساً/ المواقع الإلكترونية:

(1) العلوي محمد فالح، البيعة في نظام الحكم بالمغرب: الجذور والامتدادات، دعوة الحق، 12:00، 2025/04/10

<https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8625>

(2) بن عمر المسلوقي مصطفى، الحركة العلمية في جامع الكبير بمدينة تارودانت خلال القرنين 10 و 11 الهجريين، 2025/04/14، 9:30.

<https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8127>

(3) نافع فاطمة، الحركة العلمية بالقرويين على عهد المولى إسماعيل، الرابطة المحمدية للعلماء، 20:00، 2025/04/20.

<https://www.arrabita.ma/blog/%d8%a7%d9%84%d8%ad%d8%b1%d9%83%d8%a>

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	إهداء
	شكر وعرفان
	قائمة المختصرات
10-1	مقدمة.....
	الفصل الأول: أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية وبداية الحكم العلوي
14	المبحث الأول: لمحة عامة حول أوضاع المغرب قبيل نشأة الدولة العلوية.....
14	أولاً: الأوضاع السياسية.....
17	ثانياً: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعلمية.....
26	المبحث الثاني: نشأة الدولة العلوية.....
26	أولاً: بداية ظهور العلويين وتأسيس حكمهم.....
34	ثانياً: توطيد العلويين لأركان حكمهم.....
40	خلاصة الفصل.....
	الفصل الثاني: أهم المؤسسات والحواضر العلمية والعلوم المنتشرة خلال فترة الحكم العلوي الأول 1659م-1727م
44	المبحث الأول: المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول.....
44	أولاً: الكتاتيب والمساجد والزوايا والخزائن العلمية.....
58	ثانياً: المدارس وجامع القرويين.....
65	المبحث الثاني: أهم الحواضر العلمية والعلوم في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول.....
65	أولاً: أهم الحواضر العلمية في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول.....
67	ثانياً: أهم العلوم النقلية والعقلية في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي الأول.....
70	خلاصة الفصل.....

الفصل الثالث: دور العلماء العلويين في الحياة السياسية والاجتماعية وصلاتهم العلمية بالعالم الإسلامي خلال فترة الحكم العلوي الأول	
74	المبحث الأول: دور العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية خلال فترة الحكم العلوي الأول.....
74	أولا: علاقة العلماء بالسلطين.....
79	ثانيا: تأثير العلماء في رسم سياسية الحكم العلوي الأول.....
81	المبحث الثاني: الرحلات العلمية للعلماء العلويين وعلاقتهم بأقطار العالم الإسلامي..
81	أولا: الرحلات العلمية للعلماء العلويين وعلاقتهم بتطور العلوم.....
88	ثانيا: تأثير العلماء المغاربة العلويين في العالم الإسلامي.....
90	خلاصة الفصل.....
92	خاتمة.....
99	الملاحق.....
104	قائمة المصادر والمراجع.....
115	فهرس المحتويات.....
117	ملخص.....

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز ملامح الحياة العلمية خلال العهد العلوي الأول (1659-1727م)، من خلال تسليط الضوء على السياق العام الذي نشأت فيه الدولة العلوية، واستعراض المظاهر المختلفة للمجال العلمي خلال العهد العلوي الأول.

ينقسم البحث إلى ثلاثة فصول رئيسية، تناولت في أولها الأوضاع العامة للمغرب قبيل نشأة الدولة العلوية، تطرقت إلى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية التي مهّدت لظهور العلويين، بالإضافة إلى مراحل تأسيس الحكم العلوي وتوطيد أركانه، أما الفصل الثاني فقد حُصصته لدراسة المؤسسات التعليمية والحواضر العلمية، وكذا أنواع العلوم المنتشرة آنذاك. وتطرقت فصوله إلى مختلف مظاهر التعليم، بدءًا من الكتاتيب والزوايا والخزائن، وصولًا إلى المدارس الكبرى كجامع القرويين، كما تناولت أهم الحواضر العلمية التي شهدت نشاطًا بارزًا، إلى جانب أنواع العلوم التي لاقت رواجًا في ظل العهد العلوي الأول، في حين تحدثت في الفصل الثالث عن دور العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية، والعلاقات العلمية التي ربطتهم بأقطار العالم الإسلامي. وركزت على علاقة العلماء بالسلطين، ومدى مساهمتهم في توجيه سياسة الدولة، بالإضافة إلى رصد الرحلات العلمية التي قام بها العلماء العلويون، وما نتج عنها من تواصل علمي وثقافي مع باقي بلدان العالم الإسلامي، مما ساهم في إشعاع الفكر المغربي خارج حدوده.

الكلمات المفتاحية:

العهد العلوي، الحياة العلمية، المؤسسات التعليمية، الحواضر، العلوم النقلية والعقلية، العلماء.

Abstract :

This study aims to highlight the features of intellectual life during the first Alaouite era (1659-1727) by shedding light on the general context in which the Alaouite state emerged, and reviewing the various manifestations of the scientific domain during the first Alaouite period. The research is divided into three main chapters. The first chapter addresses the general conditions of Morocco before the emergence of the Alaouite state, discussing the political, economic, social, and scientific conditions that paved the way for the rise of the Alaouites, In addition to the stages of establishing Alaouite rule and consolidating its pillars. The second chapter is dedicated to studying educational institutions and scientific hubs, as well as the types of sciences that were prevalent at that time. Its sections touch on various aspects of education, starting from the schools and zawiyas to the major schools like Al-Qarawiyyin Mosque, and discuss the most important scientific hubs that witnessed prominent activity, along with the types of sciences that flourished during the first Alaouite era. In the third chapter, It discusses the role of scholars in political and social life, and the scientific relations that connected them with different parts of the Islamic world, focusing on the relationship between scholars and sultans, and their contribution to guiding state policy In addition to monitoring the scientific journeys undertaken by the Alaouite scholars, and what resulted from it of scientific and cultural communication with other countries of the Islamic world, which contributed to the radiance of Moroccan thought beyond its borders.

Keywords:

Alaouite era, scientific life, educational institutions, urban centers, applied and theoretical sciences, scholars.